المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة بالمدينة المنورة
قسم الإستشراق
شعبة الدراسات الإسلامية

البحث التكميلي لنيل درجة الماجستير :

موقف المستشرق مونتجمرى وات (W. M. Watt) من غزوات الرسول ﷺ

من خلال كتابه «محمد في المدينة»

دراسة نقدية

إشراف

فضيلة الدكتور/ عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

إعداد الطالب/

عمر بن مساعد الشريوفي

١٤١٥هـ - ١٤١٦هـ





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، قائد الغر المحجلين، محمد بن عبدالله، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

مما لا شك فيه أن فترة السيرة النبوية هي الفترة الفريدة في التاريخ الإسلامي، فهي فترة انقلاب شامل للأوضاع في شبه الجزيرة العربية، ولأهمية هذه الفترة «نادراً ما نرى مستشرقاً لم يتناول حياة الرسول ﷺ وشخصيته أو الدعوة الإسلامية في سنينها الأولى»(١)، إيماناً منهم بأن الطعن في هذه الفترة هو طعن في أساس التاريخ الإسلامي، ونموذجه الذي تقاس به فترات التاريخ الأخرى، فالطعن في هذه الفترة، يسنحب على بقية الفترات التاريخية من باب أولى، لذا «فلا نجد رجلا بين كل الشخصيات الدينية غير المسيحية وجهت إليه التهم والافتراءات وحمل عليه بقدر ما افتري على محمد ﷺ مؤسس الإسلام»(٢).

---

١) عبدالمجيد ناجي، تطور الدراسات الاستشراقية عن الرسول القائد ﷺ، الموسوعة الصغيرة، ص: ٩٧-١٠٧، منشورات دار الجاحظ للنشر.

٢) روجيه باسكييه، مقال: محمد المفترى عليه، مجلة حضارة الإسلام، ص ٤٠، عدد ٤٠-٤٣، ذو الحجة ١٤١٠هـ.

وركزت دراسات المستشرقين على جوانب عدة من السيرة النبوية، فمن هذه الجوانب: انتشار الإسلام، والحركة الجهادية في عصر الرسول ﷺ، فسلطت السهام نحو روح هذه الحركة الجهادية، ونحو دافعها الأساس المحرك لها، فاعتبر دافعاً اقتصادياً تارة، واجتماعياً تارة أخرى، وشوهت طبيعة الجهاد في الإسلام، فصورته أقلام المستشرقين في صورة حركة دفاعية غير توسعية، تنشأ لظروف دفاعية قومية لا دخل للدين فيها.

وهذا الفهم أو التصور لطبيعة الجهاد، انعكس من سوء فهمهم لطبيعة الإسلام نفسه، فالإسلام ليس عقيدة نظرية وطقوساً يؤديها الإنسان في يومه وليلته، ويبلغه الناس بوسيلة البيان فقط، بل هو "منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس"(١)، ويزيل العراقيل من طريق الدعوة، حتى تبلغ كل إنسان على وجه الأرض، ومن ثم لا يكره على اعتناقها. ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾(٢)، ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾(٣).

وفي هذا البحث الذي أتطرق فيه إلى بيان وجهة نظر استشراقية في غزوات الرسول ﷺ أسأل الله عز وجل أن أوفق في بيان الحق، وأن أضيف لبنة في صرح الدفاع عن هذا الدين.

والله ولي التوفيق...

---

١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٤٤٣/٣، نشر دار الشروق، ط١١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

٣) سورة يونس، آية: ٩٩.

أهمية الموضوع وسبب الاختيار:

وتكمن أهمية الموضوع في:

١- اتصاله بشخص الرسول ﷺ، الشخصية التي غير الله بها مجرى التاريخ، ودفة الأحداث، ودخلت الأمة الإسلامية أبواب التاريخ، وسجلت حضارة عريقة عبر الأزمان، وإلى وقتنا الحاضر.

فالطعن في شخص الرسول ﷺ وجهاده ضد قوى الكفر، يسيء إلى الحقيقة،ويمس قلب كل مؤمن، فينبري قلمه للدفاع عن تلك الشخصية، وإبراز صورة جهادها في صورتها الحقيقية، بعيدة عن الشوائب الاستشراقية والأفكار التنصيرية.

٢- كما أن صوراً من الإعجاب والثناء للكاتب وكتابه من قبل بعض الكتّاب المسلمين وغيرهم(١)، دفع الباحث إلى التحقق من صحة هذا الحكم.

٣- كثرة الطعون الاستشراقية في الفتوحات الإسلامية بصورة عامة وغزوات الرسول ﷺ بصورة خاصة، جعلت من الضروري تحليل تلك الطعون ومن ثم الرد عليها بصورة منهجية علمية.

نبذة عن المستشرق William Montgomery Watt.

ولد في اسكتلندا سنة ١٩٠٩م، ودرس في جامعة أدنبرة وأكسفورد، وهو منذ سنة ١٩٦٤م أستاذاً للغة العربية في الجامعة نفسها، إلى أن

---

١) انظر: عبدالمجيد ناجي، مقال «تطور الدراسات الاستشراقية عن الرسول القائد»: ٩٧ وانظر أيضاً: حسين أحمد أمين، مقال «تأملات في تطور كتابة سيرة الرسول ﷺ في الشرق والغرب»، مجلة العرب: ص ١١٣، الكويت، العدد ٢١٥، أكتوبر ١٩٧١م.

تقاعد عام ١٩٨١م، وعمل أستاذاً زائراً في جامعة تورنتو سنة ١٩٦٣م، وفي جامعة باريس سنة ١٩٧٠م، "ويعمل هذا المستشرق الآن - مع مستشرقين آخرين - مستشاراً في دورية إسلامية متخصصة تصدرها دار نشر في إحدى الدول العربية الإسلامية"(١).

بعض آثاره:

تنحصر أبحاثه في حياة الرسول ﷺ والدين الإسلامي، والحوار بين المسيحية والإسلام(٢)، ومن كتبه:

١- محمد ﷺ في المدينة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٢- محمد ﷺ في مكة، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

٣- فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، مكتبة مدبولي.

4- Islamic Philosophy and Teheology, Edinburgh University Press, 1972.

5- Islamic Revelation in the modern world, Edinburgh University Press, 1969.

6- Free will and predestination in early Islam, London, 1948.

7- Muhammad. Prophet and states man, OxFord University press, 1965.

---

١) أحمد عبدالحميد غراب، المستشرقون والموضوعية، ٥٤٠، مجلة الأزهر، العدد الخامس، جمادى الأولى ١٤١١هـ.

٢) ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، ٥٤، معهد الإنماء العربي، ليبيا.

8- Muslim - Christian encounters, Perceptions misperceptions, London, Routledge, 1991.

9- Islam and the integration of society, London Routledge and keganpavl, 1966.

10- Muhammad, The New Encyclopedia Britanica, V12, p: 665, Helen Heming way, Publisher, 1973-1974.

ومن مقالاته:

١- مشاكل تواجه الإسلام في إفريقيا اليوم، من محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، بتاريخ ١٧-٢٦ صفر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية.

٢- ومن مقالاته "اللغة العربية".

٣- من تاريخ الجزيرة العربية.

٤- الجدل الديني.

٥- عوامل انتشار الإسلام"[١].

٦- عائشة بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - دائرة المعارف الإسلامية، ٤٣١/١٥، نشر دار الفكر.

---

١) نجيب العقيقي، المستشرقون: ١٣٢/٢، دار المعارف.

تعريف بكتاب «محمد في المدينة»[١].
للمستشرق «مونتجمري وات».

يعتبر كتاب "محمد في المدينة" استكمالا لكتاب آخر وهو كتاب "محمد في مكة"، وقد عبرّ الكتابان عن وجهة نظر المستشرق (WATT) تجاه حياة الرسول ﷺ، والكتاب "محمد في المدينة" يصف سيرة الرسول ﷺ في المدينة، مع النقد والتحليل لأحداث تلك الفترة.

وتناول المؤلف في الفصل الأول تحدي المسلمين للقرشيين، وتمثل هذا التحدي في قطع طريق قوافل قريش إلى الشام لإحداث هزة اقتصادية لقريش في مكة، كما تناول غزوة بدر، وبيّن حال المشركين بعد تلك الغزوة.

وفي الفصل الثاني:

فشل هجوم قريش على المدينة، تناول المستشرق فشل هجوم قريش وتمثل هذا الفشل في غزوة السويق بقيادة أبي سفيان، وغزوة الخندق، وأشار إلى أن هزيمة المسلمين يوم أحد لم تكن هزيمة نكراء، كما أن نصر المشركين لم يكن نصراً مبيناً، ودلّل على ذلك بظواهر ووقائع كثيرة.

وتناول في الفصل الثالث:

"فتح مكة"، الغزوات التي تلت غزوة الخندق، وهذه الغزوات كانت عبارة عن حملات موجهة ضد بعض القبائل.

---

١) ترجمة: شعبان بركات، ونشر المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ويقع الكتاب في ٥٩٢ ورقة من الحجم المتوسط.

ثم تطرق إلى صلح الحديبية، وبيّن النتائج المترتبة عليه، كما أخذ يشكك في صحة إرسال الرسل إلى الملوك، وساق بعض وجهات النظر الغربية في نقد تلك الروايات، ثم أخذ يبيّن الحالة السياسية في مكة، وتفرق وجهات النظر بين رجالاتها مما مهد لفتح مكة بطريقة سلمية لم تسفك فيها الدماء.

ثم تناول فتح مكة، وبيّن العوامل التي ساعدت على خضوع مكة السلمي للرسول ﷺ، ثم أخذ يبينّ سر دخول الناس في الإسلام، وعزا ذلك إلى جاذبية الإسلام، وإلى عوامل اقتصادية، ثم تناول غزوة حنين، واعتبرها تعزيزاً لفتح مكة.

وتناول في الفصل الرابع:

«توحيد العرب» النظام القبلي في قبائل شبه الجزيرة العربية، وبيّن سياسة الرسول ﷺ نحو تلك القبائل، والسبب في نجاح تلك السياسة، وعزا هذا النجاح إلى عوامل منها: انهيار الدولتين البيزنطية والفارسية، وإلى عدم وجود مسيحية عميقة الجذور تواجه الزحف الإسلامي في شبه الجزيرة العربية.

وتناول في الفصل الخامس:

«سياسة المدينة الداخلية» العناصر النافذة المؤثرة في المجتمع المدني قبل مجيء الرسول ﷺ، ودور هذه العناصر بعد مجيء الرسول ﷺ، ثم أخذ يسلط الضوء على بعض أفعال الصحابة رضوان الله عليهم، التي فيها مخالفة لأوامر الله، وأوامر رسوله، مشيراً بمجموعها إلى وجود معارضة إسلامية بين صفوف الصحابة ضد الرسول ﷺ.

الفصل السادس:

«محمد واليهود»، بيّن فيه المؤلف الوجود التاريخي لليهود في المدينة، وساق وجهات نظر غريبة حول ذلك الوجود، ثم بيّن محاولات الرسول ﷺ -على حد زعمه- للتفاهم مع اليهود، وذلك بصياغة الدين الإسلامي على غرار الدين اليهودي.

ثم بيّن نضال المسلمين الفكري ضد اليهود، وبيّن أن اليهود كانوا يمثلون تحدي للفكر الإسلامي في المدينة، واستلزم ذلك النضال المادي من المسلمين تجاه اليهود، وتمثل هذا النضال في غزوات الرسول ﷺ تجاه اليهود.

الفصل السابع:

«معالم الدولة الإسلامية»، تناول دستور المدينة بين الرسول ﷺ والمسلمين واليهود، ثم أفرد عنواناً لصحة الوثيقة، ثم بين مكانة الرسول ﷺ في المدينة. ثم تناول بالتفصيل ملامح الأمة الإسلامية ومفهوم الأمة، ثم أخذ يبيّن القواعد الاقتصادية التي أرساها الإسلام وأثرها في المجتمع المسلم.

وفي الفصل الثامن:

«إصلاح البناء الاجتماعي»، تناول فيه المستشرق حماية الحياة والملكية، وتناول كثيراً من التشريعات الإسلامية، وربطها بأصول جاهلية قديمة، ثم تطرق بشيء من التفصيل إلى نظام الزواج، والعائلة في الإسلام، والجوانب الاجتماعية في زيجات الرسول ﷺ.

وفي الفصل التاسع:

«الدين الجديد»، تطرق المستشرق إلى المؤسسات الدينية في

الإسلام، مثل أركان الإسلام الخمسة، ثم أخذ يبيّن ويوضح هذه الأركان بشيء من الإيجاز، ثم تناول موقف الإسلام من المسيحية والوثنية العربية في شبه الجزيرة.

وفي الفصل العاشر:

«عظمة محمد الإنسان»، تناول فيه خَلْق وخُلُق الرسول ﷺ، وختم الكتاب بإيراد ملاحق عديدة.

حدود البحث:

- سيقتصر الباحث في هذا الموضوع على توضيح موقف المستشرق الإنجليزي (Watt). من غزوات الرسول ﷺ من خلال كتابه «محمد في المدينة»..
- كما سيقتصر الباحث على أهم الغزوات الواردة في الكتاب، وهي تلك الغزوات التي بدراستها يتضح للباحث المنهج العام الذي انتهجه المستشرق في دراسة غزوات الرسول ﷺ.

منهجي في البحث:

يتمثل منهج البحث في النقاط التالية:

١- سيعتمد الباحث على المنهج الوصفي متمثلا في عرض آراء المستشرق والمنهج التاريخي في تحليل ونقد تلك الآراء.

٢- سيحتكم الباحث في نقده لمنهج المستشرق ومواقفه وشبهاته إلى الثابت من الرواية والرأي الشرعي.

٣- سيعتمد الباحث على منهج المحدثين في نقده للروايات التي اعتمد عليها المستشرق.

الدراسات السابقة:

توجد بعض الدراسات حول غزوات الرسول ﷺ ونقد وجهة النظر الاستشراقية في دراستها لتلك الغزوات، ومن تلك البحوث:

١- بحث حول غزوة بني قريظة، للأستاذ سعيد أحمد الأكبر آبادي(١):

تناول فيه الباحث موقف اليهود من الدعوة الإسلامية في الفترة المدنية، وهو موقف اتسم بطابع العداء، ووضع العراقيل، والمؤامرات أمام انتشار الإسلام واستقرار الوضع الداخلي في المدينة، ثم بيّن موقف الرسول ﷺ تجاه تلك المؤامرات، موضحاً مشروعية تلك المواقف النبوية تجاه طوائف وقبائل اليهود، التي نقضت العهد وقلبت ظهر المجن للإسلام والمسلمين.

وتناول بشيء من التفصيل غزوة بني قريظة، وبالأخص مشروعية العقاب الإسلامي جزاء ما اقترفت أيدي اليهود - وذلك بنقضهم العهد مع المسلمين في أحلك الظروف وأصعب المواقف - في غزوة الخندق. وساق بعض آراء المستشرقين حول عدالة هذا الجزاء، ومنهم المستشرق [WATT]، وتناول بشيء من التفصيل عدد القتلى من بني قريظة في تلك الفترة.

وخرج بالنتائج التالية:

١- أن رجال بني قريظة ما قتلوا جميعاً.

٢- أن عدد القتلى منهم لا يبلغ أربعمائة البتة.

---

١) ضمن البحوث في الدراسات المقدمة للمؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية: ٢/١٣٥، طبع على نفقة الشؤون الدينية في دولة قطر.

وقد أفدت من البحث خاصة في قضية عدد القتلى من بني قريظة، إلا أن الدراسة لا ترتبط بموضوع البحث ارتباطاً كاملا.

كما توجد دراسات حول منهج المستشرق [WATT]، من خلال كتابه «محمد في مكة» وهذه المناهج التي اتبعها [WATT] في كتابه ينطبق كثير منها على كتابه «محمد في المدينة»، ومن هذه الدراسات:

١- المستشرقون والسيرة النبوية:

بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر «مونتجمري وات» للدكتور عماد الدين الخليل(١) تناول فيه الكاتب بعض الملاحظات الأساسية لدراسة السيرة النبوية خاصة فيما يتعلق بالعلاقة بين الرسول ﷺ والرسالة والوحي، وأن أي محاولة لدراسة السيرة بمعزل عن الوحي، دراسة غير موضوعية، ولا تمثل الواقع الحقيقي والتفسير الفعلي لحوادث السيرة النبوية.

كما تناول تطور الموقف الغربي من السيرة النبوية خلال القرون الوسطى وإلى العصر الحديث، ووضع مناهج وخصائص كل موقف خلال التاريخ الأوروبي، ثم أشار إلى أن المناهج القديمة كانت تتميز بتجاوزات منهجية كبيرة تمثلت في السب والشتم للسيرة وصاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام.

أما الموقف الأوروبي الحديث من السيرة فلم يتغير ولا «يتعدى

---

١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: ١/١١٣، صدر الكتاب في نطاق التعاون المشترك بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج.

التشذيب والتهذيب، وتجاوز كلمات الفحش والسباب، أما المنهج فقد ظل هو المنهج»(١).

ثم أخذ يبيّن بعض الثغرات المنهجية لهذه البحوث، وحددها في ثلاثة مناهج:

أولا: المبالغة في الشك والافتراض والنفي الكيفي واعتماد الضعيف والشاذ.

ثانياً: إسقاط الرؤية الوضعية العلمانية والتأثيرات البيئية المعاصرة على الوقائع التاريخية.

ثالثاً: رد معطيات السيرة النبوية إلى أصول نصرانية أو يهودية.

ودلّل على كل منهج من تلك المناهج السابقة بأقوال وآراء لبعض المستشرقين.

ثم تناول كتاب «محمد في مكة» وبيّن خصائص منهجية [WATT]، عن غيره من المستشرقين، وذكر «أن ثمة ما يميزه في عصر المذهبية التاريخية ويحسب لصالحه أنه لا يفترض أو يعتنق رؤية محددة سلفاً، ويأتي إلى التاريخ لكي يعيد تركيبه وفق رؤيته تلك، ويعالج وقائعه مما يجعلها تنسجم قسراً مع مقولات المذهب»(٢).

والحقيقة أن هذا الحكم فيه نظر، فالمستشرق [WATT] لم يسلم من تلك المنهجية المتمثلة في اعتناق وجهات نظر مسبقة وأحكام سالفة، ومن ثم ليّ أعناق الحوادث التاريخية المدروسة لتتلاءم وذلك الحكم

١) المصدر السابق: ١١٣/١.

٢) المصدر السابق: ١٤٧/١.

السابق، وعلى ذلك أمثلة كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر:

○ اعتناق [WATT] وجهة النظر الاستشراقية العامة بشأن تأثر الإسلام بالديانات السابقة، وأن الرسول ﷺ قد صاغ الدين بصورة تحاكي الديانة اليهودية والنصرانية.

وقد أشار الدكتور عماد الدين الخليل إلى هذا الرأي، وأن [WATT]قد وقع فيما وقع فيه غيره من المستشرقين، ونقل أقوالاً تدل صراحة على ذلك من كتاب المستشرق "محمد في مكة"(١).

وقد أشارت الكاتبة "مريم جميلة"(٢) إلى منهجية [WATT] المتمثلة في اعتناق الأحكام السابقة، وذلك عند مناقشتها لكتابه Islam and the Intergration of Society فتقول:"ولسوء الحظ، فإن هذا العمل المذكور سابقاً، الجدير بالثقة قد دُمِّر بصورة كاملة، من بدايته، وذلك بسبب تحامله والأفكار المسبقة السيئة لهذا الكاتب"(٣).

ورغم تلك الملحوظات فقد أفدت كثيراً من هذا البحث، وخاصة فيما يتعلق بمنهجية [WATT] ، في دراسته للسيرة، حيث حدد المؤلف منهجين من مناهجه، من خلال كتابه "محمد في مكة"، وهي:

---

١) انظر المصدر السابق: ١١٤.

٢) مريم جميلة: كاتبة أمريكية من أصل يهودي أسلمت عام ١٩٦١م، وانتقلت إلى باكستان، من مؤلفاتها: الإسلام في مواجهة أهل الكتاب.. الماضي والحاضر ١٩٦٨م، انظر: محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الايمان، قصة إسلام الكاتبة الأمريكية "مريم جميلة"، نشر المختار الإسلامي.

٣) Islam and Orientalism: 98, El Matbaat Ul Arabia, Lahor. Pakistan, . . 1981.

١- النزعة الشكية والافتراض والنفي الكيفي.

٢- إسقاط الرؤية العقلية المعاصرة على السيرة.

ودلّل على كل منهج بأمثلة من الكتاب المذكور، تشير في مجموعها إلى المنهجين السابقين اللذين تبناهما [WATT] في دراسته للسيرة.

ويتضح من العرض السابق لبحث الدكتور عماد الدين الخليل مدى الإتفاق والاختلاف بين بحث المؤلف وبحثي.

٢- منهج «مونتجمري وات» في دراسته نبوة محمد ﷺ للدكتور جعفر شيخ إدريس(١)، تناول فيه المؤلف كتاب «محمد في مكة»، وركّز على جانب النبوة، ومنهجية [WATT] في دراسته لنبوة الرسول ﷺ وقسّم بحثه إلى ثلاثة أقسام:

١- المنهج الذي زعم [WATT] أنه سوف ينتهجه في كتابه.

٢- مدى التزامه بهذا المنهج.

٣- الفرق بين المنهج الذي ادعاه [WATT] والذي سلكه في الواقع.

ثم أخذ المؤلف -حفظه الله- يوضح بعض التساؤلات التي أثارها [WATT]حول نبوة محمد ﷺ، وأخذ يرد عليها، ومن ثم بيّن مدى التزامه بمنهجه الذي ادعاه وبين منهجه الذي سلكه، والمتمثل في العلمانية، والمادية، وإتباع الظن، وعدم الثقة في علماء المسلمين وعامتهم، والتعصب ضد العرب والمسلمين..

---

١) مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية: ٢٠٥/١.

ودلّل المؤلف على تلك المناهج بأمثلة من كتابه، تشير في مجموعها إلى المناهج السابقة.

وقدِ أفدت من البحث كثيراً خاصة فيما يتعلق بالخلفية الثقافية للمستشرق [WATT] حول نبوة الرسول ﷺ، كما أن بعض المناهج قد سار عليها المستشرق في كتابه «محمد في المدينة»، أيضاً..

ويتضح مما سبق أن هذه الدراسات السابقة لها ارتباط بالموضوع، ولكنها لا تستوعب بحث الموضوع كاملا بالقدر الذي يغني عن دراسته في هذا البحث، كما أنها لم تركِّز على معالجة الغزوات معالجة كاملة، وتحديد رؤية المستشرق وموقفه منها.

❑❑❑
❑❑
❑

التمهيد

طبيعة الجهاد في الإسلام

١- تعريف الجهاد.
٢- مراحل الجهاد.
٣- غايات الجهاد.
٤- من آداب الجهاد.

❑❑❑



طبيعة الجهاد الإسلامي

تعريف الجهاد :

الجهاد : «المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان، أو ما أطاق من شيء»(١).

ومفهومه في الإسلام: «هو بذل الجهود والطاقة في التبشير برسالة الإسلام، وتأييدها ونشرها والدفاع عنها، حرباً وسلماً»(٢).

مراحل تشريع الجهاد:

يوجز ابن القيم في زاد المعاد(٣)، المراحل التشريعية للجهاد فيقول:

«أول ما أوحي إليه ربه تبارك وتعالى: أن يقرأ باسم ربه الذي خلق، وذلك أول نبوته، فأمره أن يقرأ في نفسه، ولم يأمره إذ ذاك بتبليغ، ثم أنزل عليه ﴿يا أيها المدثر○ قم فأنذر﴾ فنبأه بقوله: ﴿اقرأ﴾ وأرسله بـ ﴿يا أيها المدثر﴾ ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين، ثم أنذر قومه، ثم أنذر من حوله من العرب، ثم أنذر العرب قاطبة، ثم أنذر العالمين، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف

---

١) ابن منظور، لسان العرب: ١٣٥/٣، دار صادر، بيروت.

٢) محمد عزة دروزه، الجهاد في سبيل الله: ٩ نقلا عن الجبوري في كتابه الجهاد في سبيل الله، وتحرير الإنسانية: ١٦، مطابع الرشيد.

٣) ص ١٥٨/٣-١٥٩، تحقيق شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط، نشر مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار، ط ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

والصبر والصفح.

ثم أذن له في الهجرة، وأذن له في القتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله، ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام:

- أهل صلح وهدنة.
- وأهل حرب.
- وأهل ذمة.

ولما نزلت سورة براءة، أمره الله بإتمام العهد لأهله، وأن يؤجل من ليس له عهد أربعة أشهر، فإذا انسلخت الأشهر الأربعة قاتلهم، وأمره بقتال من نقض العهد، وأمره بقتال أهل الكتاب حتى يدفعوا الجزية أو يسلموا، فأسلم أهل العهد كلهم، وأصبح أهل الأرض معه، مؤمن به، ومسالم له (أهل ذمة) ومحارب(١).

ومن هذا العرض يتضح من طبيعة الجهاد ما يلي:

١- التلازم بين الإسلام والجهاد، وأن القصور في فهم طبيعة أحدهما يفضي إلى سوء فهم الآخر.

فالإسلام «لم يكن إعلاناً نظرياً فلسفياً سلبياً، وإنما إعلاناً حركياً، واقعياً، إيجابياً... فالبيان [وسيلة] تواجه العقائد والتصورات، والحركة [الجهاد] تواجه العقبات المادية الأخرى»(٢).

ولا يتصور أن يكون ديناً عالمياً شاملا يواجه العقبات المادية،

---

١) المصدر السابق: ٣/١٥٩-١٦٠.

٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ٣/١٤٣٦، دار الشروق، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

كالأنظمة الجائرة - التي تمنع وصول دين الله إلى عباده - بوسيلة البيان فقط، بل لا بد من الجهاد، لإزالة العقبات عن طريق الدعوة إلى الله - عز وجل - ولإيصال شرع الله إلى الإنسان في أي مكان.

٢- المرحلية الملائمة لكل زمان ومكان:

فمن طبيعة الجهاد الإسلامي ملاءمته لظروف الواقع؛ «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو فيه مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي الله ورسوله، من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»(١).

« فالإسلام لا يقابل الواقع بنظريات مجردة، كما أنه لا يقابل مراحل هذا الواقع بوسائل متجمدة»(٢).

٣- علاقة المجتمع المسلم بسائر المجتمعات الأخرى:

وتقوم هذه العلاقة على «أساس أن الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي يجب على البشرية كلها أن تفيء إليه، أو أن تسالمه بجملتها فلا تقف لدعوته بأي حائل من نظام سياسي، أو قوة مادية، وأن تخلي بينه وبين كل فرد يختاره أو لا يختاره بمطلق إرادته، ولكن لا يقاومه ولا

---

١) ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول: ٢٢١تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، نشر عالم الكتب، ط: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢) سيد قطب، الظلال ٣/١٤٣٢.

يحاربه، فإن فعل ذلك أحد كان على الإسلام أن يقاتله حتى يقتله، أو حتى يعلن استسلامه»(١).

غايات الجهاد الإسلامي:

من غايات الجهاد الإسلامي:

١- إزالة العقبات من طريق الدعوة، يقول الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾(٢).

٢- التجاوب الفطري مع سنة التدافع للحيلولة دون الإفساد والدمار، لقوله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾(٣).

٣- نصرة المستضعفين، لقوله تعالى: ﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾(٤).

---

١) المصدر السابق ١٤٣٣/٣.

٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

٣) سورة الحج، الآية: ٣٩-٤٠.

٤) سورة النساء، الآية: ٧٥.

٤- تمحيص المؤمنين ومحق الكافرين واصطفاء الشهداء(١)، لقوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾(٢).

٥- التمكين لدولة الإسلام في الأرض لإقامة شريعة العدل، يقول الله تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير... الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾(٣).

من آداب الجهاد الإسلامي:

لما ارتبط الجهاد الإسلامي بغاية عظيمة وسامية، وهي تبليغ شرع الله ونشر دينه، كان لهذا الارتباط دور في وجود عامل الأخلاق في الجهاد الإسلامي، فتميز الجهاد بأخلاقيات وصفات ارتفعت به عن صفات وسمات الحروب الأخرى..

أمر الله عز وجل - عباده المجاهدين بعدم الاعتداء في القتال، فقال: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (٤)، والاعتداء في القتال يشمل كل المناهي، «كالمثلة،

---

١) أحمد بن نصرالله المصري، الثمرات الجياد في مسائل فقه الجهاد: ٣٣، نشر دار فلسطين المسلمة، ط ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤١.

٣) سورة الحج، الآية: ٣٩.

٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٠.

والغلول، وقتل النساء، والصبيان الذين لا رأي لهم ولا قتال فيهم، والرهبان وأصحاب الصوامع، وتحريق الأشجار، وقتل الحيوان لغير مصلحة))(١).

وكان النبي ﷺ إذا بعث سرية يوصيهم بتقوى الله ويقول: [سيروا بسم الله، وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً](٢).

ورأى النبي ﷺ - في بعض مغازيه - امرأة مقتولة فأنكر ذلك(٣).

وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بحسن معاملة الأسارى، وكان الصحابة يمتثلون أمر نبيهم ﷺ، فكان بعضهم يأكل التمر ويطعم أسيره البر(٤).

ونهى النبي ﷺ،في أمر الأسارى، أن يفرق بين الأم ووليدها، فقال: [من فرق بين والدة وولدها، فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة](٥).

وامتثل الصحابة رضوان الله عليهم أمر نبيهم ﷺ من بعده، فكان واقع جهادهم أنموذجاً يحتذى، وتطبيقاً عملياً لما تلقوه ورأوه من النبي ﷺ.. ففي فتح مدينة "جنديسابور" في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حاصر المسلمون المدينة، ورُمي لأهل المدينة بالأمان

---

١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٢٤٣/١.

٢) أخرجه مسلم في صحيحه، ٣٢، كتاب الجهاد والسير، باب تأمين الإمام والأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها: ١٣٥٦/٣.

٣) انظر صحيح البخاري، (نسخة الفتح)، ١٤٨/٦.

٤) "رواه الطبراني في الصغير والكبير، وإسناده حسن" قاله الهيثمي في المجمع ٨٦/٧.

٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤١٣/٥.

من عسكر المسلمين، فلم يفجأ المسلمون إلا وأبوابها تفتح، فأرسل المسلمون لأهل المدينة أن مالكم؟ فقال أهل المدينة: رميتم إلينا بالأمان فقبلناه، فقالوا: ما فعلناه؟ فسأل المسلمون بعضهم، فإذا عبد من عبيد المسلمين هو الذي أرسل إليهم بالأمان، فأمسك المسلمون عنهم، وأرسلوا إلى عمر بن الخطاب، فكتب إليهم عمر: إن الله عظّم الوفاء، فلا تكونوا أوفياء حتى تفوا، ما دمتم في شك أجيزوهم، وفوا لهم، فوفوا لهم، وانصرفوا عنهم(١).

وهذا غيض من فيض العامل الخلقي في الجهاد الإسلامي، ولا غرو، فالقتال في الإسلام ليس مطلوباً لذاته، بل لتحقيق غاية عظمى، إذا استعصى تحقيقها إلا بهذه الوسيلة.

❑❑❑
❑❑
❑

١) انظر: الطبري ، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٥٠٥.

الفصل الأول

موقف المستشرق [WATT] :

من غزوات الرسول ﷺ ومناقشته

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: موقفه من طبيعة الجهاد الإسلامي ومناقشته.
- المبحث الثاني: موقفه من غزوات الرسول ﷺ ضد قريش.
- المبحث الثالث: موقفه من غزوات الرسول ﷺ ضد اليهود.
- المبحث الرابع: موقفه من غزوات الرسول ﷺ ضد الروم.

❑❑❑

❑❑

❑

المبحث الأول

موقف [WATT] من طبيعة الجهاد الإسلامي ومناقشته

المطلب الأول: موقفه من طبيعة الجهاد الإسلامي

المطلب الثاني: المناقشة والـــــــردود

❑❑❑

❑❑

❑

المطلب الأول

موقف المستشرق [WATT] :

من طبيعة الجهاد الإسلامي

صور المستشرق [WATT] جهاد النبي ﷺ بصورة تعكس نضال زعيم سياسي، يهدف إلى بناء امبراطورية عربية تحت سلطته، فزعم أن هدف النبي ﷺ «كان توحيد العرب تحت سلطته والتوسع بهم نحن الشمال» (١)، وأن النبي ﷺ على حد زعمه - «كان مساوياً لزعماء القبائل» (٢)، «وأنه لا شيء سوى القليل يميز النبي ﷺ عن سائر الزعماء»(٣).

وانعكس فهم [WATT] لطبيعة الإسلام على طبيعة الجهاد الإسلامي، فلقد تصور أن الإسلام دين قومي، خاص بالعرب وحدهم، وأن النبي ﷺ بعث للعرب وحدهم..

فمن ذلك قوله:

«يتفق هذا المشروع مع الفكرة العامة القائلة، بأن كل نبي يرسل إلى أمة معينة، فيكون محمد قد أرسل إلى العرب»(٤).

وألقى هذا الفهم بظلاله على فهم المستشرق لطبيعة الجهاد

---

١) {Watt} محمد في المدينة، ص ٩٧، تعريب شعبان بركات.

٢) المصدر السابق، ص ٣٤٨.

٣) المصدر السابق ص ٣٤٩.

٤) المصدر السابق، ص ٣٠٧.

الإسلامي، وأنه جهاد من أجل توحيد الجزيرة العربية، تحت سلطة النبي ﷺ، ولما اصطدم هذا الفهم بواقع دعوة وجهاد النبي ﷺ المتضمن لدعوة الملوك والرؤساء من غير العرب، أخذ المستشرق يشكك في صحة تلك الرسائل، فيقول:

«وهذا شيء غير معقول، إذا كانت الرسائل دعوة إلى الدخول في الإسلام والاعتراف بمحمد كزعيم ديني، لأنه لا يمكن تصور إمبراطور الروم، ونجاشي الحبشة، يستجيبان لمثل هذه الدعوة»(١).

وشبّه [WATT] غزوات النبي ﷺ بالسلب والنهب عند العرب قديماً، فمن ذلك قوله:

«وقد نظر محمد ﷺ إلى المستقبل، ووجد أنه يجب توجيه غرائز السلب والنهب عند العرب نحو الخارج»(٢).

ومن زعم ذلك الزعم من المستشرقين - أيضاً- [H. Masse] .(٣) بقوله:

«وهكذا افتتح دور الغزوات التي لا تختلف مطلقاً عن الغزوات الوثنية»(٤).

---

١) المصدر السابق، ص ٦٢.

٢) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم، : ٦٧، وانظر أيضاً : ٢٨٨.

٣) H. Masse (١٨٨٦-٢٩٦٩) مدير المعهد الفرنسي بالقاهرة، وعين أستاذاً في جامعة الجزائرة، وعضواً في مجمع الكتابات والآداب، والمجمع الايراني (١٩٣٨م)، وعين عضواً في المجمع العربي بدمشق، واختارته اليونسكو في نخبة المستشرقين، من آثاره: كتاب الإسلام، نجيب العقيقي، المستشرقون: ٢٧٣/١.

٤) الإسلام: ٤٩، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.

المناقشة والردود

بعد العرض الموجز لطبيعة الجهاد في الإسلام، يتضح سوء فهم المستشرق لتلك الطبيعة..

فالنبي ﷺ لم يكن زعيماً - كغيره من الزعماء - يبحث عن ملك أو رئاسة لذاتها، وإنما كان جهاده لإعلاء كلمة الله تعالى..

يقول النبي ﷺ [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله](١).

ولو كان زعيماً كغيره من الزعماء ما رفض عرض كفار قريش الزعامة والمال والجاه عليه، فذلك طريق أيسر - لو كان يبحث عن الزعامة - للوصول إلى الملك والرئاسة.

وهذا ما أشار إليه [WATT] نفسه في أحد كتبه(٢) بقوله:

«وإن عرض زعماء مكة على محمد المال والجاه، لو صح ذلك لدل على أنهم يعترفون بطموحه، غير أن رفضه لذلك وتصرفاته في مكة، تجعل من المستبعد أن يكون الطموح السياسي هو الدافع لأعماله».

فالمستشرق استبعد الطموح السياس للنبي ﷺ، وعلق حكمه ذلك على صحة الرواية، والرواية حسنة إن شاء الله(٣)، فيسقط بذلك زعمه.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٢٤، كتاب الزكاة، ١ باب وجوب الزكاة ٢٦٢/٣، نشر دار المعرفة.

٢) «محمد في مكة» : ٢٠٨، تعريب: شعبان بركات، نشر المكتبة العصرية.

٣) قال الشوكاني - رحمه الله - «وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى، والحاكم، وصححه، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، كلاهما في الدلائل، وابن عساكر عن جابر بن

وواقع سيرة النبي ﷺ يرد على ذلك الزعم، فقد "توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي، بثلاثين صاعاً من شعير"(١).

ومن ذلك العرض الموجز لطبيعة الإسلام والجهاد، يتضح سوء فهم المستشرق [WATT] لطبيعتيهما، وخطؤه في قصرهما على أمة دون أخرى، فالإسلام دين البشرية كلها.. ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه..﴾(٢).

وشرع الجهاد لإزالة العقبات المادية من طريق الدعوة الإسلامية، فاكتسب الجهاد صفة العالمية من طبيعة الإسلام نفسه، فهو يشرع ضد أي أمة مهما كان جنسها أو دينها أو لغتها، تقف أمام بلوغ دين الله للناس.

فرسائل النبي ﷺ للملوك من غير العرب، وغزواته خارج الجزيرة العربية، منسجمة مع طبيعتي الجهاد الإسلامي، ونفيها أو التشكيك فيها لن يغير من طبيعة الجهاد شيئاً، فهي ثابتة صحيحة(٣).

عبدالله..."، وذكر قصة مجيء عتبة بن ربيعة إلى النبي ﷺ وعرضه عليه المال والنساء والجاه، فتح القدير ٥٠٤/٤، دار إحياء التراث العربي،"ورواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات" قاله الهيثمي في المجمع ١٩/٣، نشر دار الريان.، وقال الألباني - حفظه الله -"وسنده حسن إن شاء الله" حاشية فقه السيرة للغزالي: ١١٣، نشر دار إحياء التراث العربي.

١) أخرجه البخاري في صحيحه، ٥٦، كتاب الجهاد، ٨٩، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب: ٩٩/٦.

٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

٣) منها ما أخرجه البخاري في صحيحه: ٥٦ كتاب الجهاد، ١٠١ باب دعوى اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال

أما بشأن تشبيه جهاد النبي ﷺ بأنه صورة من صور السلب، والنهب عند العرب، فهو جهل تام بطبيعة وأخلاقيات الجهاد في الإسلام(١) وجهل بواقع غزوات النبي ﷺ والذي كان ينهى عن النهبة في الغزو فيقول: [من انتهب نهبة فليس منا](٢).

وأهداف وبواعث وأخلاقيات الجهاد الإسلامي تختلف تماماً عن أهداف وبواعث وأخلاقيات حروب العرب في الجاهلية، والتي يصدق على كثير منها وصف السلب والنهب، فحروب العرب قديماً كانت ذات طابع قبلي، يكون عامل الولاء للقبيلة عنصراً أساسياً تقوم عليه الحروب، وكان الشعار الجاهلي «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» دليلاً على ذلك، ولما جاء الإسلام وجّه ذلك الشعار الجاهلي توجيهاً إسلامياً سامياً، فقد سئل النبي ﷺ «فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه»(٣).

فالإسلام جعل مصلحة الأمة والولاء لها فوق كل ولاء، واعتبار ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...﴾(٤)، وكان لهذا الولاء أثره

١٠٨/٦، ومسلم في صحيحه ٣٢، كتاب الجهاد والسير، ٢٧ باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل، ١٣٩٧/٣، نشر دار الحديث، القاهرة.

١) انظر موضوع «من آداب الجهاد في الإسلام» في التمهيد: ١٨.

٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٤٥/٣، وانظر أيضاً سنن أبي داود: ٧٣٠/٢. تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، (نسخة الفتح) ٤٦، كتاب المظالم، ٤٣، باب أعن أخاك ظالماً ومظلوماً ٩٨/٥.

٤) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

في واقع الجهاد، فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه، مر على أخيه - في غزوة بدر - أبي عزيز بن عمير، وهو في الأسر فقال مصعب لآسره من المسلمين: شد يديك به فإن أمه ذات متاع، لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصاتك بي، فقال له مصعب: إنه أخي دونك(١).

أما بواعث حروب العرب قبل الإسلام، فقد كانت بعض الحروب تنشأ لأمور دنيوية تافهة، تستمر السنين الطوال، فمن تلك الحروب المشهورة: "داحس والغبراء"، وكانت بين عبس وذبيان، حين تراهنا "قيس" من عبس، و "حذيفة" من ذبيان، على سباق بين خيلي قيس وهما "داحس والغبراء"، وخيلي حذيفة وهما "الخطار والحنفاء" فلما كان يوم السباق أقام حذيفة رجلاً في الطريق وأمره أن يلطم وجه داحس إذا هبطت الوادي، ففعل الرجل، فادعى بنو عبس الظلم،فقامت الحرب بين القبيلتين لسنين طويلة(٢).

ومن حروبهم المشهورة، "حرب البسوس" وكانت بين "بكر" و "تغلب" وسببها أن "كليباً" من تغلب، طعن برمحه ناقة تسمى "سراب" لأحد جيران "جساس" من بكر، فقتل "جساس" "كليباً" انتقاماً لناقة جاره، فثارت الحرب بين الحيين أربعين سنة، قتل فيها خلق كثير(٣).

ولا شك في أن تلك البواعث لا تتفق من قريب أو بعيد مع بواعث وغايات الجهاد الإسلامي(٤).

---

١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٣٥٠.

٢) انظر: ابن الأثير ، الكامل في التاريخ: ١/٣٤٣، نشر دار الكتاب العربي، ط ٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣) انظر: المصدر السابق، ١/٣١٢.

وكانت بعض حروبهم تنشأ لأهداف اقتصادية بحتة مثل حرب «الرقم» بين «عامر بن صعصعة» و «غطفان» ومثل «يوم ساحوق» بين بني ذبيان وعامر(١)، وغيرها.

كما أن أخلاقيات حروب العرب قديماً لا ترقى إلى مستوى أخلاقيات الجهاد الإسلامي(٢).. وخير دليل على ذلك «حرب الفجار» بين «كنانة» و «قيس عيلان» وسميت بالفجار لأن الحيين استحلا فيها المحارم(٣).

فمما سبق يتضح أن وصف [WATT] للجهاد الإسلامي بأنه صورة من صور السلب والنهب عند العرب، أمر يتنافى وطبيعة الجهاد الإسلامي، ويدل على جهل - أو تجاهل - لأهداف الجهاد وبواعثه وأخلاقياته، ويتضح خطأ ذلك التصور عند مقارنة بواعث وأهداف وأخلاقيات الجهاد الإسلامي ببواعث وأهداف وأخلاق الحروب الجاهلية أو الوثنية.

❑❑❑

❑❑

❑

---

٤) انظر: موضوع غايات الجهاد الإسلامي، في التمهيد: ١٦.

١) انظر: المصدر السابق ١/٣٩٣-٣٩٤.

٢) انظر: موضوع «آداب الجهاد في الإسلام»، في التمهيد: ١٨.

٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١/٢٤١.

المبحث الثاني

موقفه من غزوات الرسول ﷺ ضد قريش

❑❑❑

❑❑

❑

المطلب الأول

الموقف العام

انعكس فهم [WATT] لطبيعة جهاد النبي ﷺ على غزواته عليه السلام، فزعم أن هدف جهاد النبي ﷺ ضد قريش هو كسب خبرتهم الإدارية وكفاءتهم التجارية، وذلك لبناء الدولة العربية التي زعم أن النبي ﷺ كان يسعى لإقامتها، فيقول:

«فإنه [النبي صلى الله عليه وسلم] سوف يحتاج إلى كفاءات المكيين الإدارية، ولهذا فليست مهمته تحطيم القرشيين بل اكتسابهم إلى جانبه»(١).

ويقول: «ويبدو أن محمداً كان يسعى لتحقيق هدف سلبي وهو هزيمة المكيين، وقد ظهر فيما بعد أن للمكيين دور مهم يقومون به في الجانب الإيجابي من سياسته»(٢).

ودرج المستشرق على ذكر هذا الزعم في دراسته لغزوات النبي ﷺ ضد قريش(٣).

مناقشة موقف المستشرق [WATT] العام:

إن ما ادعاه [WATT] افتعال وتخرص لا دليل عليه، بل إن واقع وطبيعة جهاد النبي ﷺ يسقطان ذلك الزعم، فالنبي ﷺ لم يكن يهدف إلى

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٢٨.

٢) المصدر السابق: ٦٩.

٣) انظر: المصدر السابق: ٢٠، ٢٨، ٩٧.

تحطيم القرشيين أو إلى اكتساب كفاءاتهم الإدارية، - لا بسلم ولا بحرب - بل حدد موقفه ﷺ منهم منذ بداية الدعوة الإسلامية، وتمثل هذا الموقف في قوله ﷺ لهم [قولوا لا إله إلا الله تفلحوا](١).

وكان جهاده ضدهم لأجل هذه الكلمة ومقتضاها، [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله...»(٢).. فكان هدف النبي ﷺ هو إسلام أهل مكة، لا تحطيمهم أو السعي لكسب خبراتهم التجارية والإدارية..

ومن العجيب أن يفهم [WATT] الأمور على هذا الوجه، فلو كان ما ادعاه صحيحاً ما قاتل النبي ﷺ كفار قريش، وجاهدهم السنوات الطوال، وقتل كبار تجّارهم، وأهل الخبرة والجاهة فيهم، وهو ما أشار إليه [WATT] في أحد كتبه(٣) بقوله:

«كانت هزيمة بدر كارثة خطيرة للمكيين، فالخمسة عشر أو العشرين من رجال مكة، ذوي النفوذ والخبرة الكبيرة، قتل منهم اثنا عشر رجلا».

ولو كان ما ادعاه [WATT] صحيحاً ما رفض النبي ﷺ عرض كفار مكة الرئاسة والجاه عليه، ولكان ذلك أيسر عليهم من معارضته وأيسر عليه ﷺ من قتالهم، ولكن الهدف كان إقرار التوحيد في الأرض، وإزالة العقبات من طريقه.

---

١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤٩٢/٣، نشر مؤسسة قرطبة.

٢) سبق تخريجه، انظر ص ٢٨.

٣) "WATT" Muhammad Prophet and statsman: p. 124. OxFord University Press, 1965. وانظر أيضاً: «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٢٢.

المطلب الثاني

موقفه من غزوة بدر

- أولا: موقفه من تخلف بعض الصحابة عن الغزوة.
- ثانياً: موقفه من معاملة الأسرى..

❑❑❑
❑❑
❑

المطلب الثاني
موقفه من غزوة بدر

أولا: موقفه من تخلف بعض الصحابة:

١- يقول [WATT] في معرض كلامه عن غزوة بدر: "فلو علم المسلمون أنه سوف تحدث معركة لامتنعوا عن السير"(١).

٢- ويقول في معرض حديثه عن مكانة النبي ﷺ في المدينة: "ويبدو أن محمداً ﷺ بذل جهده لجمع رجال يخوض بهم معركة بدر، ولكن يبدو أنهم لم يلبوا جميعهم نداءه حتى بين الذين كانوا يؤمنون بنبوته"(٢).

٣- ويقول عن تخلف بعض الصحابة عن الغزوة: "فلم يكن مثلا أسيد بن حضير - وهو من الزعماء الذين أسلموا مبكراً - يؤيد محمداً بحماس للاشتراك في الحملة، ولكن ما كاد يرى محمداً يعود منتصراً حتى اعتذر إليه"(٣).

٤- ويقول: "ويقال بأن هذا [سعد بن عبادة] تغيب عن بدر بسبب لسعة حية ولكن ذلك لم يكن سوى عذر يتعلل به.."(٤).

وفسّر تخلف الصحابيين [سعد وأسيد] على أنه معارضة إسلامية للنبي ﷺ في المدينة، وأفرد لذلك عنواناً في كتابه(٥)، وفسّر تخلف

---

١) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ١٨٠.

٢) المصدر السابق: ٣٥٢.

٣) المصدر السابق: ٢٤.

٤) المصدر السابق: ٢٧٦.

٥) المصدر السابق: ٢٧٥.

أسيد بن حضير تفسيراً آخر، وهو أن أسيداً «علم بأن سعد بن معاذ عدوه في قيادة (عبد الأشهل)، يتمتع بعطف محمد، راودته فكرة الاستفادة من عدم اشتراكه فيما يبدو له قضية خاسرة» (١).

المناقشة والردود:

١- والزعم الأول تكهن لا دليل عليه، إلا أن المستشرق استثمر بشكل مخطيء رواية صحيحة في تاريخ «الطبري» أشار إليها في الحاشية ولا علاقة لها بتلك النتيجة التي توصل إليها، وهذه الرواية هي: «ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشام، فسلكوا طريق الساحل، فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال، وبقلة عددهم، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه، لا يرونها إلا غنيمة لهم، لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها: ﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾(٢).

وواقع الصحابة يثبت عكس زعم [WATT] فلو علموا أن النبي ﷺ يلقى قتالا لخرجوا جميعاً، وهذا ثابت في أقوال كثير ممن لم يحضر الغزوة، ككعب بن مالك(٣)، وأسيد بن حضير(٤)، وغيرهم.

أما زعمه بأن بعض الصحابة لم يلب نداء النبي ﷺ لخوض

---

١) المصدر السابق: ٢٧٥.

٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك : ٢/٢٠، دار الكتب العلمية، ط ١٤١١هـ.

٣) انظر صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٦٤، كتاب المغازي، ٣ باب قصة غزوة بدر: ٧/٢٨٥.

٤) سيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى.

المعركة فهو زعم يخالف الواقع التاريخي للغزوة(١)، وادعاء ينقضه حال الصحابة وواقعهم، فالصحابة خرجوا مع النبي ﷺ لملاقاة العدو بغير استعداد للقتال، وأحبوا الظفر بالعير وكرهوا ملاقاة قريش على هذه الحالة، وهو ما ذكره الله عز وجل عن بعضهم(٢)، ولكن هذا الكره لم يحملهم على معصية أمر النبي ﷺ، بل خاضوا المعركة بنية الجهاد وحدها، فكان لهم الظفر بإحدى الطائفتين، التي وعدهم الله تعالى بها وهي النفير "قريش".

ويتضح تلبية الصحابة لنداء رسول الله ﷺ في أقوال كبار المهاجرين والأنصار، ومنها: "لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا..﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك"(٣).

٢- أما موقفه من تخلف أسيد بن حضير - رضي الله عنه -، فهو موقف بُني على تخرصات وتكهنات لا يسندها دليل، والمستشرق أحال في موضوع تخلف أسيد بن حضير عن غزوة بدر إلى مغازي «الواقدي» وعند الرجوع إلى الكتاب المذكور لا نجد إشارة إلى أن أسيد بن حضير لم يكن يؤيد النبي ﷺ في خروجه لملاقاة العير أو النفير..

يقول الواقدي(٤) "وتخلف قوم من أهل نيات وبصائر، لو ظنوا أنه

---

١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢٩٤، مكتبة المنار، ط ١٤٠٩هـ.

٢) سورة الأنفال، الآية: ٥، ٦، ٧.

٣) أخرجه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٦٤ كتاب المغازي، ٤ باب قول الله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم..﴾ ٧/٢٨٦.

٤) كتاب المغازي: ٢/٢١، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب.

يكون قتال ما تخلفوا، وكان ممن تخلف أسيد بن حضير، فلما قدم رسول الله ﷺ قال له أسيد: والذي بعثك بالحق، ما تخلفت عنك رغبة بنفسي عن نفسك، ولا ظننت أنك تلاقي عدواً، ولا ظننت إلا أنها العير، فقال له رسول الله ﷺ صدقت»، وسيرة الصحابي الجليل أسيد بن حضير وشهوده المواقف مع النبي ﷺ يسقط زعم [WATT] فقد ثبت مع النبي ﷺ يوم أحد حين انكشف عنه الناس(١).

٣- أما موقفه من تخلف الصحابي سعد بن عبادة عن غزوة بدر، فهو اتهام بني على دليل غير صحيح، فالمستشرق اعتمد - فيما يبدو - على رواية غير صحيحة عند ابن سعد في الطبقات(٢)، تشير الرواية إلى أن تخلف سعد بن عبادة عن الغزو كان بسبب حية نهشته وهو يأتي دور الأنصار يحضهم على الخروج مع رسول الله ﷺ، وساق ابن سعد الرواية من طريق الواقدي، وهو متروك، والرواية أيضاً تخالف الروايات الصحيحة، التي تثبت أنه خرج مع النبي ﷺ وشهد بدراً.

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه قول: سعد بن عبادة للنبي ﷺ في أثناء مشاورة النبي ﷺ لأصحابه قبل الغزوة: «إيّانا تريد؟ يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها»(٣). مما

---

١) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى : ٦٠٥/٤، نشر دار صادر، وانظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٣٤٣/١، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١٤١٠هـ.

٢) ٦١٤/٣.

٣) كتاب الجهاد والسير، ٣ باب غزوة بدر: ١٤٠٤/٣، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الحديث بالقاهرة، ط: ١٤١٣هـ.

يدل على أن سعد بن عبادة قد حضر الغزوة، وهو ما اختاره البخاري في تاريخه(١).

وبذلك يكون المستشرق قد اعتمد على رواية منكرة غير صحيحة، وبنى عليها أحكاماً وتصورات.

والرواية على فرض صحتها لا تفيد بأن سعد بن عبادة كان أحد أفراد المعارضة الإسلامية المزعومة، للنبي ﷺ، كما تصور [WATT] بل ورد فيها أنه كان يحض الأنصار على المشاركة في الغزوة !! وبذلك يسقط زعم المستشرق في تفسير تخلف الصحابيين الجليلين «سعد بن عبادة، وأسيد بن حضير» رضي الله عنهما.

---

١) انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: ١/٢٧١.

ثانياً: موقفه من معاملة الأسرى:

أنجز الله وعده لرسوله ﷺ بالظفر على قريش: «فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين»(١)، وكان من بين الأسارى سادة قريش وعظماؤها، كسهيل بن عمرو، وأبي العاص بن الربيع، وغيرهم، وبرز الخلاف حول مصير أولئك الأسرى، وشاور النبي ﷺ أصحابه في شأنهم فأشار بعضهم بالقتل، وأشار بعضهم بالفداء، واستقر أمر النبي ﷺ على أخذ الفداء منهم، وكان قدر الفداء أربعة آلاف درهم(٢) على خلاف في تحديد مقداره.

وكان أناس من الأسرى لم يكن لهم فداء، «فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»(٣).

وأمر النبي ﷺ صحابته بحسن معاملة الأسرى، فقال: [استوصوا بالأسارى خيراً](٤)، فكان نفر من الأنصار يقدمون البر للأسرى، ويأكلون التمر(٥).

واستثنى النبي ﷺ أناساً من الأسرى لشدة عدائهم لله ورسوله،

---

١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، ٣٢، ١٨، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٣٨٣/٣.

٢) انظر الهيثمي، مجمع الزوائد: ٩٠/٦، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢٤٧/١، وقال أحمد شاكر: "إسناده صحيح"، نقلا عن باوزير، مرويات غزوة بدر: ٣٣٥، مكتبة طيبة، ط ١٤٠٠هـ.

٤) رواه الطبراني في الصغير والكبير، وإسناده حسن، قاله الهيثمي في المجمع: ٨٦/٦.

٥) انظر: المصدر السابق.

فأمر بقتلهم، مثل النضر بن الحارث(١)، وعقبة بن أبي معيط(٢)، فقد كانا من شر عباد الله، وأكثرهم كفراً، وهجاء للإسلام وأهله.

ثم بعد أن فرغ رسول الله ﷺ من شأن الأسرى نزلت الآيات من سورة الأنفال ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم.. الآيات﴾(٣).

واختلف السلف رضوان الله عليهم في أيّ الرأيين كان أصوب؟ «فقال بعضهم: كان رأي أبي بكر، [قبول الفدية] لأنه وافق ما قدر الله في نفس الأمر، ولما استقر الأمر عليه، ولدخول كثير منهم في الإسلام، إما بنفسه وإما بذريته، التي ولدت له بعد الوقعة، ولأنه وافق غلبة الرحمة على الغضب، كما ثبت ذلك عند الله في حق من كتب له الرحمة، أما العتاب على الآخر ففيه إشارة إلى ذم من آثر شيئاً من الدنيا على الآخرة، ولو قل»(٤).

موقف [WATT] ومناقشته:

زعم [WATT] أن بعض الأسرى عوملوا معاملة قاسية في بدر، فمن ذلك قوله: «وقد عومل أسير أو أسيران بشدة وقسوة»(٥).

ومن ذلك قوله: «جاء مسلم بأسير فرآه جماعة من المهاجرين الذين

---

١) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٠٦/٢، دار الريان، ط ١٤٠٨هـ.

٢) انظر سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في قتل الأسير صبراً ٦٦/٢.

٣) سورة الأنفال، الآيات: ٦٧-٦٩.

٤) ابن حجر، فتح الباري: ٣٢٥/٧.

٥) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٣٠.

كانوا يكرهونه فوثبوا عليه فقتلوه، وهكذا ضاعت الفدية على الرجل الذي أسره»(١).

وهذا زعم يدل على الحيدة عن الموضوعية والنزاهة العلمية، في عرض الحقائق التاريخية، فزعمه هذا يصطدم بوصية النبي ﷺ للمسلمين في بدر بمعاملة الأسرى معاملة حسنة، وبامتثال الصحابة لتلك الوصية، أما بشأن الأسير الذي رآه بعض المهاجرين فقتلوه فهو أمية بن خلف، والذي قتله بلال بن رباح(٢) والمستشرق أغفل سبب الكراهة والبغض،وهو تعذيب أمية بن خلف لبلال بن رباح في مكة(٣)، فقد ذاق منه أصناف العذاب وأشكاله حتى اشتراه أبو بكر منه.

أما موقفه من الفداء، فيقول:"وكانت سياسته [النبي ﷺ] عامة أن يحتفظ بالأسرى حتى دفع الدية، أما الذين كانوا من قبيلته أو كانت تربطهم علاقة ما بالمسلمين، وكذلك الذين لم يكونوا متنفذين ولا أغنياء تدفع دياتهم، فكان يطلق سراحهم بدون دفع الدية"(٤).

وهو زعم يخالف الثابت من الروايات، فالنبي ﷺ عندما استشاره أصحابه في فداء العباس وقالوا:«فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، قال:

---

١) المصدر السابق: ٦٩.

٢) انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٦٤، كتاب المغازي، ٨ باب قتل أبي جهل، ٣/٢٩٨٠.

٣) أخرج قصة تعذيب أمية لبلال، ابن سعد في الطبقات: ٣/٢٣٢، وذكرها ابن إسحاق في السيرة مرسلا عن عروة بن الزبير،[وأخرجها ابن عبدالبر ٢/٣٢، وابن عساكر ٣/٤٥٢، عن سعيد بن مسيب، وإسناده صحيح، ومعلوم منزلة مراسيل سعيد عند أهل العلم] قاله الطرهوني في صحيح السيرة النبوية، ٢/٥٢٢، نشر مكتبة العلم، ط١، ١٤١٤هـ.

٤) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٢٠.

والله لا تذرون منه درهماً»(١).

((وعند أبي نعيم في الأوائل بإسناد حسن من حديث ابن عباس: كان فداء كل واحد أربعين أوقية، فجعل على العباس مائة أوقية، وعلى عقيل ثمانين، فقال له العباس: أللقرابة صنعت هذا؟»(٢).

و [WATT] يلمز - وإن لم يصرح فيما يبدو - قصة فداء العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ فقد خرج مع المشركين في بدر، فكان من بين الأسارى، فأرسلت زينب - وكانت في مكة - فداءه مع قلادة لخديجة رضي الله عنها، فلما رآها النبي ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال:«إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها»(٣).

فالنبي ﷺ لم يطلق قرابته بدون فداء، بل استشار أصحابه في رد فداء العاص بن الربيع، وكان الأولى بالمستشرق أن ينظر لها من جانب آخر وهو جانب الرحمة عند النبي ﷺ، وجانب الوفاء لزوجته خديجة رضي الله عنها وأرضاها.

---

١) رواه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٦٤، كتاب المغازي، ١٢ باب (بدون ترجمة) ٣١٣٠/٧.

٢) ابن حجر، فتح الباري: ٣٢٢/٧.

٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٧٦/٦ «قال البنا: سنده جيد» نقلا عن باوزير، مرويات غزوة بدر: ٣٣٤.

المطلب الثاني

موقفه من غـــــزوة أحـــــد

- أولا: موقفه من انسحاب المنافقين.
- ثانياً: موقفه من هزيمة المسلمين ونصر المشركين.
- ثالثاً: موقفه من الآيات التي نزلت في غزوة أحد.
- رابعاً : موقفه من نتيجة الغزوة.

❑❑❑
❑❑
❑

أولاً: موقفه من انسحاب المنافقين:

لما علم النبي ﷺ بمقدم قريش ونزولها على مشارف المدينة، استشار أصحابه - كعادته ﷺ - وأشار عليهم بالبقاء في المدينة وقتال المشركين عند دخولهم إليها، وأشار عبدالله بن أبي سلول - رأس المنافقين - بما أشار به رسول الله ﷺ وقال رجال من المسلمين: "يا رسول الله: اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أن جبنا عنهم وضعفنا"(١).

فلم يزل الناس برسول الله ﷺ حتى دخل إلى بيته، ولبس لأمته(٢) وخرج، فلما رآه الناس قالوا:(استكرهناك ولم يكن ذلك لنا، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك وسلم، فقال رسول الله ﷺ ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل، فخرج رسول الله ﷺ في ألف من أصحابه"(٣).

ثم رجع عبدالله بن أبي بن سلول(٤) بثلث الناس، وقال: "أطاعهم وعصاني، وما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا يا أيها الناس، [واتبعهم بعض الصحابة يذكرونهم بالله، فقال المنافقون]: لو نعلم أنكم تقاتلون ما

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٩٢.

٢) اللأمة: (مهموزة): الدرع، وقيل: السلاح، ولأمة الحرب: أداته وقد يترك الهمز تخفيفاً، انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٤/٢٢، نشر دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٩٢.

٤) المصدر السابق ٣/٩٢، وانظر مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، تحقيق وجمع الدكتور الأعظمي: ١٦٩، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ط ١٤٠١هـ، وانظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٢/٦٠.

أسلمناكم، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال(١).

وسجل الله عز وجل موقفهم ذلك بقوله سبحانه: ﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون﴾(٢).

موقف [WATT] ومناقشته:

تميز موقف المستشرق [WATT] من فعل المنافقين يوم أحد بالتعاطف واللين، وإيجاد التبريرات لانسحابهم وخذلانهم للنبي ﷺ وأصحابه، فمن ذلك قوله:

"ويمكن القول بأنه [عبدالله بن أبي] انسحب بالاتفاق مع محمد للدفاع عن المكان الرئيس [المدينة] ضد هجوم من العدو منتظر"(٣).

وهذا احتمال وتكهن لا دليل عليه، بل سيرة عبدالله بن أبي بن سلول، وعداؤه للنبي ﷺ وللدعوة الإسلامية ككل تنفي أن يكون النبي ﷺ يأتمنه على أبسط الأمور، فضلا عن الدفاع عن المدينة ومن فيها، ومواقفه ضد الدعوة الإسلامية معلومة، اعترف بها المستشرق في مواطن كثيرة من كتابه(٤) ومنها فرحه وسروره بهزيمة المسلمين يوم أحد(٥).

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٩٣.

٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

٣) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٣٤.

٤) انظر: المصدر السابق: ٢٨١-٢٨٢.

=

ثانياً: موقفه من هزيمة المسلمين ونصر المشركين:

أجلس النبي ﷺ قبل المعركة جيشاً من الرماة على جبل صغير هناك بجوار المعركة مطل على ساحتها، وأمّر عليهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه، وقال: «لا تبرحوا وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم، فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا»(١).

فلما التقى الجيشان كانت الدائرة للمسلمين في أول الأمر، وهرب المشركون فانتهب المسلمون معسكر المشركين، ولما رأى الرماة فرار المشركين قالوا: الغنيمة الغنيمة، ونزلوا من الجبل، فقال لهم عبدالله بن جبير: «عهد إليّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا»(٢)، فلما أخلت الرماة تلك الخلة دخلت خيل المشركين من ذلك الموضع على جيش المسلمين، وصرخ إبليس أي عباد الله أخراكم، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم، والتبس جيش المسلمين بجيش المشركين، فحصل القتل في المسلمين(٣).

ومما زاد في انتشار الفوضى بين صفوف المسلمين، وانهيار معنوياتهم ظنهم أن النبي ﷺ قد قتل(٤)، لسماعهم صارخاً يقول ذلك..

من أسباب هزيمة المسلمين يوم أحد:

= ٥) انظر: المصدر السابق: ٣٤.

١) أخرجه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٦٤ كتاب المغازي، ١٧ باب غزة أحد: ٣٤٩/٧.

٢) المصدر السابق: ٣٤٩/٧.

٣) المصدر السابق: ٣٦١/٧.

٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ١١٢/٣.

١- معصية الرماة لأمر النبي ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون... الآية﴾(١).

٢- إيثار بعض المسلمين للدنيا على الآخرة:

وإليه أشار الله عز وجل بقوله: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾(٢)، ويقول عبد الله بن مسعود: «ما كنت أرى أحداً من أصحاب النبي ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية يوم أحد ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾(٣).

٣- فرار كثير من المسلمين عن النبي ﷺ:

يقول الله تعالى: ﴿إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غماً بغم...﴾(٤)، قيل في تفسير الغم: «غم فوات الغنيمة، ثم أعقبه الهزيمة، ثم غم القتل، ثم غم سماعهم أن رسول الله ﷺ قد قتل، ثم غم ظهور أعدائهم على الجبل فوقهم، وليس المراد غمين اثنين خاصة»(٥).

---

١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

٣) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٣.

٥) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد: ٢٢٧/٣، نشر مكتبة الرسالة والمنار الإسلامية، ط ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

تفسير [WATT] لهزيمة المسلمين وانتصار المشركين ومناقشته:

فسرّ [WATT] هزيمة المسلمين تفسيراً مادياً، عزله عن أبعاده الايمانية، ووضع أسباباً وأسساً لهزيمة المسلمين، وزعم «أن الرواية الرسمية الإسلامية يجب أن تتغير اعتماداً على هذه الأسس»(١).

فمن تلك الأسس:

١- زعمه أن هزيمة المسلمين كانت بسبب افتقار المسلمين إلى فرسان كفرسان قريش(٢)، وهو زعم يتناقض وواقع المعركة، فالمشركون انهزموا في بداية المعركة ومعهم فرسانهم، ولم يكن للفرسان دور إلا بعد أن عصى الرماة أمر النبي ﷺ، وتركوا أماكنهم.

٢- تخطيط المشركين:

زعم [WATT] - ليتجنب التفسير القرآني للهزيمة -، أن انسحاب المكيين وهجوم خيالتهم أمر «لم يكن من وحي الساعة، بل كان جزءاً من خطة المكيين في المعركة»(٣)..

وأشار [WATT] في الحاشية إلى «مغازي الواقدي» وعند الرجوع إليها لا نجد فيها ما يؤيد زعمه السابق، فقد ذكر الواقدي أن رافع بن خديج قال: «فلما انصرف الرماة وبقي من بقي، نظر خالد بن الوليد إلى خلاء الجبل وقلة أهله، فكر بالخيل وتبعه عكرمة في الخيل»(٤)، ثم إن طريقة انسحاب المشركين لا تدل على أنها خطة مبيتة، فقد فروا وتركوا

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٣٨.

٢) انظر: المصدر السابق: ٣٩.

٣) المصدر السابق، ٣٨.

٤) الواقدي، كتاب المغازي: ٢٣٢/١.

نساءهم حتى أصبحوا عرضة للسبي، وهذا أمر تأنفه النفس البشرية، فضلا عن العربية..

يقول الزبير بن العوام: «والله لقد رأيتني أنظر إلى قدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير»(١).

٣- يقول [WATT]: "ولا شك أن انحطاط الصفات العسكرية عند المسلمين مرتبط بازدياد عددهم"(٢) وهذا زعم يكذبه واقع غزوات النبي ﷺ، فقد كان عدد المسلمين في غزوات عدة أكثر من عددهم في أحد، ومع ذلك كان النصر للمسلمين، كغزوة الخندق، وفتح مكة، وغيرها.

وبعد استعراض موقف [WATT] من تفسير هزيمة المسلمين ومناقشته، يتضح وبجلاء أن الأسباب الحقيقية وراء هزيمة المسلمين هي ما ذكرته الآيات ونصت عليه الأحاديث والآثار، وهو الذي ينسجم مع واقع وأحداث الغزوة.

ثالثاً: موقفه من الآيات التي نزلت في غزوة أحد:

بعد انقضاء معركة أحد، وانسدال الستار على أحداثها المؤلمة، نزلت الآيات من سورة آل عمران، فيها تسلية وتعزية لمصاب المؤمنين، وفيها تحديد لعوامل الهزيمة وأسبابها، وفيها جملة من الحكم والغايات، ومن موضوعات الآيات التي نزلت:

١- وصف ونقد للأحداث، كما في الآيات (١٢١،١٢٢،١٤٣،١٤٤،١٥٣،١٥٦)

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/١١٣.

٢) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٤٠.

وغيرها.

٢- تعريف المؤمنين بسوء عاقبة المعصية، وأن ما أصابهم هو من عند أنفسهم، كما في الآيات: (١٥٢-١٦٥).

٣- تمييز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب، كما في الآيات: (١٥٤،١٥٦،١٦٧،١٦٨،١٧٩).

٤- اتخاذ الله الشهداء، وبيان ما أعد لهم في الآخرة، كما في الآيات: (١٤٠،١٥٧،١٥٨،١٦٩،١٧٠،١٧١).

٥- تمحيص المؤمنين ومحق الكافرين، كما في الآيات: (١٤٠،١٤١،١٥٤).

٦- توبيخ المؤمنين على انقلابهم على أعقابهم عندما سمعوا صوت النبي ﷺ، الآية: (١٤٤).

٧- تولي الله عز وجل المؤمنين بحفظه وتثبيته لهم أولاً، ثم عفوه عنهم أخيراً، كما في الآيات: (١٢٢،١٥٥).

موقف [WATT] ومناقشته:

زعم [WATT] أن مقاطع الآيات التي نزلت توحي بتفسير آخر، «فهي تظهر أن المسلم العادي بعد أحد استغرق في قلق روحي عميق، لأنه وجد أن بعض معتقداته المفضلة قد انهارت»(١).

عند عرض كلام المستشرق السابق على موضوعات ومعاني الآيات، التي نزلت بعد غزوة أحد، لا نجد إشارة - من قريب أو بعيد - إلى ذلك القلق المزعوم، ثم أي معتقدات تلك التي انهارت في نفوس الصحابة

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٤١٠

رضوان الله عليهم؟!! بل على العكس من ذلك، فإن غزوة أحد جسدت ومثلت للصحابة بعض أمور العقيدة، مثل أمر القضاء والقدر، وأن ما حلّ بهم هو بإرادة الله عز وجل، وداخل تحت مشيئته الكونية، كما جلّت عقيدة اليوم الآخر، وما أعد الله عز وجل للشهداء منهم، وبيّنت لهم شؤم المعصية وعاقبة الفشل والتنازع.. وهو ما وعاه الصحابة رضوان الله عليهم جيداً، في حياة النبي ﷺ وبعد مماته.

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي المسلمين بعد فتح خراسان ويحذرهم من مغبة الذنوب، وتغير النفوس، وأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم(١).

فالمستشرق [WATT] بنى حكمه (انهيار بعض المعتقدات المفضلة في نفس المسلم) على مقدمة غير صحيحة، (أن الآيات توحي بقلق روحي حدث في نفس المسلم).

١) انظر: الطبري ، تاريخ الأمم والملوك: ٥٤٩/٢.

رابعاً: موقفه من نتيجة المعركة:

كان موقف [WATT] فيه شيء من الإيجابية وذلك فيما يتعلق بنتيجة المعركة، تمثل هذا الموقف الإيجابي في تحليل مكاسب المعسكرين وإثبات حقيقة مفادها، أن معركة أحد لم تكن هزيمة تامة للمسلمين، ولم تكن انتصاراً مبيناً للمكيين، فيقول:

«وأخيراً يجب إعادة النظر في التأكيد بأن معركة أحد كانت هزيمة منكرة للمسلمين ونصراً مبيناً للمكيين»(١) وأخذ يؤيد حكمه ذلك بأسباب وحقائق تشير في مجموعها إلى أن أحداً لم تكن نصراً مبيناً للمشركين، ومن هذه الأسباب:

١- أن الهدف الاستراتيجي للمكيين كان القضاء على الأمة الإسلامية لا أكثر ولا أقل ولم يحققوا هذا الهدف(٢).

٢- أن المكيين لم يستطيعوا مهاجمة محمد ﷺ بنجاح أو المراكز الرئيسية التي يقوم عليها بناء المدينة الرئيس(٣).

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٤٠.

٢) انظر: المصدر السابق: ٤٣.

٣) انظر المصدر السابق: ٤٣.

المطلب الثالث

موقفه من غزوة الحديبيـــــــــــة

- أولا: موقفه من سبب الغزوة.
- ثانياً: موقفه من إسلام أبي جندل سهيل بن عمرو.

❑❑❑
❑❑
❑

المطلب الثالث

غزوة الحديبيـــــة

رأى النبي ﷺ في نومه أنه دخل البيت مع أصحابه وطافوا به، وحلّق بعضهم وقصّر البعض الآخر، فأخبر أصحابه فاستبشروا بذلك(١).

يقول الله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ (٢).. فخرج النبي ﷺ في بضع عشرة مائة من أصحابه، فلما كان بذي الحليفة قلّد الهدي وأشعره(٣) وأحرم منها(٤) فلما علمت قريش بخروجه أرسلت إليه خالد بن الوليد في جريدة خيل(٥) ليصد رسول الله ﷺ، فسلك النبي ﷺ طريقاً آخر حتى بلغ الحديبية، فمنعته قريش من الدخول إلى البيت والطواف به، ثم بدأت المفاوضات بينه وبين قريش، ومن ثم عقد صلح الحديبية، وكانت شروطه:

١- أن توضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض.

٢- ومن أتى رسول الله ﷺ من قريش مسلماً بدون إذن وليه أن يرده

---

١) انظر، مسند الإمام أحمد : ٣٢٥/٤.

٢) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

٣) أشعره: أي أعلمها وهو أن يشق جلدها حتى يظهر الدم، القاموس المحيط: ٥٣٤.

٤) أخرجه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٦٤، كتاب المغازي، ٣٥ باب غزوة الحديبية، ٤٤٤/٧.

٥) الجريدة: خيل لا رجالة فيها، القاموس المحيط ٣٤٧.

عليهم.

٣- ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه إليه.

٤- وأن بينهما (المسلمين وقريش) عبية مكفوفة(١)، وأنه لا إسلال ولا إغلال(٢).

٥- وأنه من أحب أن يدخل في عقد وعهد رسول الله ﷺ دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد وعهد قريش دخل.

٦- وأن يرجع النبي ﷺ وأصحابه هذا العام ويأتي في العام القابل(٣).

وبعقد صلح الحديبية بين النبي ﷺ وقريش، اعترفت قريش - ضمناً - بمكانة النبي ﷺ والدولة الإسلامية، وأنها طرف يعقد معه المفاوضات، وهو ما أشار إليه أيضاً [WATT] بقوله:

«وتدل هذه المادة [من شروط الصلح] على أن الفريقين يعاملان على قدم المساواة، وهي اعتراف من القرشيين بمساواة محمد لهم»(٤).

---

١) عيبة مكفوفة: أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب، تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتصافين، الذين يثق بعضهم إلى بعض، النهاية في غريب الحديث : ٣٢٧/٢.

٢) الإسلال والإغلال: قيل: الإغلال لبس الدروع، والإسلال: سل السيوف، النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣٨٠/٣.

٣) انظر: مسند الإمام أحمد: ٣٢٥/٤.

٤) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٧٣.

أولا: موقفه من سبب الغزوة ومناقشته:

يقول [WATT] «ولا شك أن الرؤيا هي التي دفعت محمداً إلى التفكير بالحج[1] ولقد قلق حينما رأى وعد الله لا يتحقق»[2].

ما زعمه [WATT] من أن سبب القيام بالعمرة هو الرؤيا التي رآها النبي ﷺ أمر صحيح كما أسلفت، ولكن زعمه بأن النبي ﷺ قلق عندما رأى أن وعد الله لم يتحقق، فهو زعم باطل لا يسنده دليل، بل واقع الغزوة يثبت عكس ما ذهب إليه [WATT] فالنبي ﷺ كان يتصرف تصرف الواثق، من نصر الله وتأييده، وتظهر تلك الثقة في إجابات النبي ﷺ على أسئلة عمر بن الخطاب رضي الله عنها، والتي منها: «ألست نبي الله حقاً؟ قال: النبي ﷺ بلى، قلت: [عمر] ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله، ولست أعصيه وهو ناصري، قلت: أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، فأخبرتك أنك تأتيهم العام؟ قال: قلت: لا، قال:

---

(١) ترجم المترجم كلمة Piligrimage إلى الحج وهو يخالف مقصد المؤلف، ويقصد بها المؤلف العمرة، فإن الكلمة السابقة تعني الحج، وتعني زيارة الأماكن المقدسة، انظر: Muhammad at Medina: p 47 وكان على المؤلف أن يذكر لفظها العربي كما ذكرها في .p. 75.

(٢) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٧٠.

فإنك آتيه ومطوّف به»(١)..

فأين القلق الذي زعمه المستشرق [WATT] في ثنايا هذا الكلام الذي يفيض ثقة وتوكلا على الله عز وجل؟!!.

وهذا اتهام يتنافى وحقيقة نبوة النبي ﷺ والتي هي من أعظم الحقائق وضوحاً، كما أن الثقة بالله والتوكل عليه هي من ألزم لوازمها، ويتناقض موقف [WATT] هذا مع قوله: «ولكن على كل مؤرخ بعيد عن المعتقدات المادية أن يعتبر من أهم العوامل [في نجاح النبي ﷺ] إيمان محمد ﷺ برسالة القرآن، وإخلاصه الذي لا يتزعزع للمهمة التي دعاه الله إليها».(٢).

ثم ذكر [WATT] أسباباً واحتمالات أخرى للغزوة، فيقول: «ولربما فرضت الفكرة نفسها عليه لأسباب سياسية.»(٣).

وهذا من التناقض البيّن، فهو قبل أسطر يصرح بقوله: ولا شك أن الرؤيا هي التي دفعت محمداً إلى التفكير في الحج، ثم هو الآن يخرق ذلك التأكيد السابق باحتمالات أخرى، وهذا تناقض يضاف إلى التناقضات الأخرى، والتي يلحظها القارىء في كتابات [WATT] عموماً..

يقول حسين أحمد أمين: «ومع ذلك فإننا نستشعر من موقفه [WATT]

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٥٤ كتاب الشروط، ١٥ باب الشروط في الجهـــــــاد: ٥/٣٣١.

٢) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٧٦.

٣) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٧٠.

تناقضاً أساسياً غير مفهوم»(١) وهذا التناقض في الكتابة والأفكار أضفى بعض الغموض على كتابات [WATT] أشار هو إلى وجودها بقوله: «فإن بعض نقاد كتبي يتهمونني بأني لا أفصح بوضوح عن آرائي، فإني أجيبهم: بأن الكاتب يتصدى لصعوبات جمة حيث يكتب لقراء شديدي التنوع في مذاهبهم، لا بد سيفهمون الأفكار الأساسية الواردة على أوجه مختلفة»(٢).

١) تأملات في تطور كتابة سيرة النبي ﷺ في الشرق والغرب، ص ١١٣، مجلة العربي، الكويت: عدد ٢١٥، شوال ١٣٩٦هـ اكتوبر ١٩٧٦م.

٢) نقلا عن المرجع السابق: ١١٣.

ثانياً: موقفه من إسلام أبي جندل بن سهيل بن عمرو:

كان سهيل بن عمرو آخر رجل أرسلته قريش ليفاوض النبي ﷺ وفي أثناء عقد الصلح أتى أبو جندل بن سهيل بن عمرو وهو يرسف(1) في قيوده، وقد جاء مسلماً ورمى بنفسه في معسكر المسلمين، فقال سهيل أبوه: «هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه، أن ترده إليَّ، فقال النبي ﷺ إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً.. قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما لقيت؟». (2).

موقف [WATT] ومناقشته:

يقول [WATT]: «ولقد شعرت مكة بعد عقد معاهدة الحديبية أنها مدينة محكوم عليها بالإعدام، ولقد أراد الشيوخ وأصحاب المصالح الاستمرار في النضال، بينما وجد الشبان أنه لا مستقبل لهم في مكة، فسار أبو جندل ابن سهيل بن عمرو نحو المعسكر المدني، بينما كان والده يوقع المعاهدة»(3).

---

1) يرسف: الرسف: مشي المقيد إذا جاء يتحامل برجله مع القيد، النهاية في غريب الحديث: ٢/٢٢٢.

2) أخرجه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٥٤، كتاب الشروط، ١٥ باب الشروط في الجهاد: ٥/٣٣١.

3) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٨٨.

يعلل [WATT] إسلام أبي جندل تعليلا مادياً، وأنه إسلام قائم على المصالح المستقبلية، وناشيء من تردي الأحوال الاقتصادية في مكة، ويفهم من كلام [WATT] أيضاً أن إسلام أبي جندل كان في أثناء وبعد عقد الصلح، وإفراز طبيعي للصلح، ولكن الواقع أن هذا غير صحيح، لأنه قد عُذِّب وأتى إلى المسلمين وهو يرسف في قيوده، كما جاء في الرواية الثابتة.. مما يدل على أن إسلامه متقدم زمنياً على غزوة الحديبية، فضلا عن وقت عقد صلحها.. وبذلك فإسلامه لم يكن بسبب عقد مكة للصلح مع النبي ﷺ، كما يزعم [WATT] بل كان إيماناً صادقاً تدل عليه سيرته وجهاده - رضي الله عنه - حتى توفي شهيداً في طاعون عمواس بالأردن(١).

---

١) انظر: الذهبي ، سير أعلام النبلاء: ١/١٩١.

المبحث الثالث

موقف [WATT] من غزوات النبي ﷺ ضد اليهود

المطلب الأول: موقفه العـــــــــــــــام

المطلب الثاني: موقفه من إجلاء بني النضير

المطلب الثالث: موقفه من غزوة بني قريظة

❑❑❑

❑❑

❑

المطلب الأول

موقفه العـــــــــــــــام

أولا : موقفه من مؤامرات اليهود ضد الإسلام

ثانياً : موقفه من سبب إجلاء اليهود عن المدينة

❑❑❑
❑❑
❑

المطلب الأول
موقفه العـــــام

تمهيـــــــد:

قدم النبي ﷺ إلى المدينة مهاجراً من مكة، لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول(١)، ونزل في بني عمرو بن عوف، وظل هناك بضع عشرة ليلة، ثم أسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه، ثم أسس المسجد النبوي(٢) ثم كتب كتاباً - دستور المدينة - بين المهاجرين والأنصار، ووادع فيه يهود(٣).

ووفى المهاجرون والأنصار بما جاء في بنود المعاهدة، وقاموا بها خير قيام، أما اليهود، فقلبوا للمسلمين ظهر المجن، وأظهروا الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين، وبرزت الطبيعة اليهودية ذات السمة الملتوية، فنقضوا العهد مع المسلمين في أحلك الظروف فضلا عن مؤامراتهم المستمرة ضد الإسلام والمسلمين، التي استهدفت حتى

---

١) انظر: ابن حجر، فتح الباري: ٢٢٧/٧.

٢) انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٢٣٩/٧.

٣) أخرج نص الكتاب كاملا ابن إسحاق، انظر: سيرة ابن هشام: ١٦٧/٢، وأخرج بعض بنود المعاهدة أو الكتاب بعض كتب الحديث ومنها: صحيح مسلم، ٢٠ كتاب العتق، ٤ باب تحريم تولي العتيق غير مواليه: ١١٤٦/٢، وسنن الترمذي: ١٤، كتاب الديات، ١٦ باب ما جاء في دية الكفار: ٢٥/٤، نشر المكتبة التجارية، وسنن النسائي: ٤٥ كتاب القسامة، ٤١ باب صفة شبه العمد، وعلى من دية الأجنة وشبه العمد: ٤٢٠/٨. نشر دار المعرفة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

شخص النبي ﷺ، فكان الموقف العادل من النبي ﷺ هو قتال أو إجلاء اليهود الذين نقضوا العهد وغدروا بالمسلمين.

أولا: موقفه من مؤامرات اليهود ضد الإسلام:

اتسم موقف [WATT] العام تجاه مؤامرات اليهود ضد الإسلام بشيء من الإيجابية، وذلك في مواضع كثيرة من كتابه، مشيراً إلى دور اليهود في شن الغارات والحملات الصغيرة والكبيرة على المدينة، بتأييد ودعم يهوديين..

فمن ذلك قوله: «استمر المشتركون من اليهود في محالفة مكة في مؤامراتهم فقدموا مساعدة عسكرية، مقابل المال، إلى قبائل عربية، ومنها قبيلة سعد بن بكر»(١).

ثانياً: موقفه من سبب إجلاء اليهود عن المدينة:

حدد [WATT] أسباباً لطرد النبي ﷺ ليهود المدينة، ومنها:

أ - نضال اليهود الفكري ضد الإسلام:

فمن ذلك قوله: «فقد ظهر اليهود خلال السنتين اللتين قضاهما محمد في المدينة على أنهم أخطر معارضيه بإنكارهم عليه نبوته، وبهذا كان حماس أتباعه الديني - وكان هذا عنصراً مهماً - معرضاً للفتور، إذا لم يقض على المعارضة اليهودية بالسكوت أو العجز... حتى إذا ما أصبحت الظروف مواتية - أي حين بلغت زعامته الذروة، وزعامة ابن

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٦٥، وانظر: أيضاً : ص ٣٠، ١٣٨-١٤٥، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٥٢/٤.

أبي الحضيض وسنحت الفرصة لبدء الحرب - قام محمد بذلك»(١).

ويقول: «وكانت انتقاداتهم خطراً على التجربة الاجتماعية والسياسية الكبرى التي اندفع فيها محمد، ولا يمكن تجاهل مثل هذا الخطر وهكذا توالت الأحداث»(٢).

لا شك في أن الشبهات والمؤامرات العسكرية لأعداء الدين خطر على أتباعه، ولكن ليست خطراً على الدين نفسه، فالإسلام محفوظ بحفظ الله تعالى له: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿لحافظون﴾ يشمل كل أنواع الحفظ، ومنها«ما يقتضي حفظ القرآن حفظه، ويدخل في هذا : حفظ لغة القرآن، وحفظ أمة القرآن، وحفظ المتمسكين بالقرآن»(٤).

فالصحابة رضوان الله عليهم، كانوا أشد الناس تمسكاً بكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، فكانت شبهات اليهود وغيرهم وأفكارهم تتحطم أمام اليقين الصادق، والتمسك الواضح بكتاب ربهم عز وجل..

ولا شك أن لليهود في المدينة إبَّان العهد النبوي، نضالا فكرياً يتمثل في إثارة الشبهات والأفكار المعادية للإسلام، واستغلال كل ظرف من الظروف في تشويه صورة الإسلام أمام أتباعه، وكانت لهم مجالس جدل

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٣٣١.

٢) المصدر السابق: ٣٣٥، وانظر أيضاً: ٣١٢.

٣) سورة الحجر، الآية: ٩.

٤) عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، المستشرقون والسنة: ٩، عام ١٤١٥هـ (بخط اليد).

مع النبي ﷺ(١).

وكان الحوار في تلك المجالس يسفر عن إقامة الحجة والبرهان على اليهود ودحر شبههم، وتأكيد نبوة النبي ﷺ، وبمجموع الردود الإسلامية على شبه اليهود وغيرهم، سواء في الكتاب(٢) أو السنة، تكوّن علم نقد إسلامي لتلك الشبه والمزاعم..

واعتبر زاداً للمحاور المسلم ضد خصومه عبر التاريخ الإسلامي، فكان ذلك الحوار الإسلامي نقداً فكرياً للديانة اليهودية وليس العكس، مما يدل دلالة واضحة على أن اليهود لم يكن لهم تأثير فكري على عقول الصحابة رضوان الله عليهم، حتى يلجأ النبي ﷺ كما زعم [WATT] لإجلائهم من المدينة..

فإجلاء النبي ﷺ لليهود كان بسبب غدرهم ونقضهم العهد، ولم يكن لذلك النقاش والحوار اليهودي الإسلامي دور في إجلائهم، بل كان اليهود هم الطرف الناقض للعهد، المستوجب للقتال، وواقع غزوات النبي ﷺ تجاه اليهود شاهد على ذلك.

---

١) انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٩٧، كتاب التوحيد، ٢٨ باب قوله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ ٤٤٠/١٣، وانظر أيضاً: صحيح مسلم ٣ كتاب الحيض، ٨ باب صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ٢٥٢/١، وانظر: مسند الإمام أحمد ٢٥٥/١، ٢٧٣/١.

٢) تناول القرآن عقيدة اليهود وطباعهم، وفند شبههم، وأظهر زيف عقولهم، فمن تلك الآيات التي تناولت ما سبق ذكره، سورة آل عمران، الآية: ٦٤، ٦٥، وسورة النساء: الآية: ١٥٣، وسورة المائدة، الآية: ٦٤، وسورة التوبة، الآية: ٣٠ وغيرها.

ب ـ أموال اليهود:

فمن ذلك قوله: «القول بأن محمداً كان يجهل غنى اليهود تقليل من شأن ذكائه، ولكن الاعتقاد بأن هذا الغنى كان السبب الوحيد لهجمات محمد ضد اليهود وهو إتخاذ موقف مادي لا مبرر له، ولا شك أن غنى اليهود كان بدون شك عوناً كبيراً لمحمد، وحسّن كثيراً من وضعه المالي»(١).

يسلك [WATT] في تقرير هذه الشبهة مسلكاً نفسياً يؤكد فيه الذم في صورة المدح، والشبهة في صورة الحقيقة، فهو يشير إلى ذكاء النبي ﷺ ولكن يُضمنه ذماً لموقفه المادي تجاه اليهود، فيعتبر غناء اليهود سبباً من أسباب إجلائهم...

وهذا الطعن في مقاصد ونوايا النبي ﷺ يتنافى وروح البحث العلمي النزيه عن التجريح والطعن، فكان الأولى بالمستشرق أن يحترم شخص النبي ﷺ، ولا يجرح بذلك مشاعر القارىء المسلم بهذا الأسلوب غير العلمي، كما أن هذا الأسلوب وما جرى مجراه يتنافى مع ما ألزم [WATT] نفسه به حينما قال: «وأقول لقرائي المسلمين شيئاً مماثلاً، فقد ألزمت نفسي رغم إخلاصي لمعطيات العلم التاريخي المكرس في الغرب، أن لا أقول أي شيء يمكن أن يتعارض مع معتقدات الإسلام الأساسية»(٢) وأسلوبه السابق يتعارض تماماً مع ركن من أركان الإيمان، ألا وهو الإيمان بالرسل.

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٣٣٥، وانظر أيضاً: ٣٣٢.

٢) «محمد في مكة» صلى الله عليه وسلم: ٦.

ولا شك أن ما أفاء الله على رسوله ﷺ من أموال اليهود بعد إجلائهم كان عوناً للنبي ﷺ في حياته، ودعوته ونشر دينه(١)، ولكن لا يعتبر سبباً من أسباب إجلائهم، بل كان غدرهم وخيانتهم ونقضهم للعهد مع المسلمين هو السبب الرئيس الذي جعل التعايش السلمي معهم أمراً غير ممكن..

ثم إن النبي ﷺ كان حريصاً على إسلام اليهود، لا على أموالهم، حتى بعد غدرهم وتدبيرهم المؤامرات، ويتضح ذلك جلياً في نصيحة النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب يوم خيبر: ومنها: «ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، والله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»(٢).

ثم معاملة النبي ﷺ لأهل خيبر بعد فتحها شاهد على ما سبق، فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أعطى النبي ﷺ خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها»(٣).

ويتضح مما سبق عرضه أن الأسباب التي تخيلها [WATT] وجعلها سبباً لإجلاء اليهود أسباب تتنافى والدواعي الحقيقية لإجلائهم، وتتنافى مع سيرة النبي ﷺ عامة، وسيرته مع اليهود خاصة.

---

١) انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٧/٤٩٥.

٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٤ كتاب فضائل الصحابة، ٤ باب فضائل علي، ٤/١٨٧٢.

٣) ٦٤ كتاب المغازي، ٤٠ باب معاملة النبي ﷺ أهل خيبر، ٧/٤٩٦.

المطلب الثاني

موقفه من إجلاء بني النضير

عاهد النبي ﷺ يهود المدينة كلهم كما أشرت سابقاً -(١) ووضع بينه وبينهم وثيقة أو كتاباً "دستور المدينة" ولكن الطبيعة اليهودية - والتي بيّنها الله عز وجل في كتابه ﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾(٢) - قد جهدت في نقض تلك الوثيقة، فحاكوا المؤامرات تلو المؤامرات، للإيقاع بين المسلمين أنفسهم، وبين المسلمين وعدوهم، فمن ذلك نقض بني النضير للعهد ومحاولة الغدر بالنبي ﷺ والمسلمين..

فقد ورد في سبب إجلائهم روايتان:

١- روى ابن إسحاق خبراً معلقاً في إجلاء بني النضير، وأنهم حاولوا قتل النبي ﷺ عندما أتاهم يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر(٣)، وقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه-ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد-فمن يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه؟ فتنزل الوحي على النبي ﷺ فرجع إلى المدينة، وأمر بالتهيؤ لحربهم فحاصرهم ثم أجلاهم(٤).

---

١) انظر: ص ٦٦.

٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٠.

٣) الذي قتل الرجلين هو عمرو بن أمية الضمري، وذلك في حادثة بئر معونة، انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٣/٣٨٥، وانظر أيضاً: ابن هشام، السيرة النبوية ٣/٢٦٠.

٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٢٦٧.

٢- روى أبو داود في سننه أن قريشاً كتبت إلى اليهود في المدينة: «إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا..» فأجمعت بنو النضير على الغدر، وأرسلوا إلى النبي ﷺ «أن اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبراً» وهم يريدون الغدر بالنبي ﷺ وقتله، فلما علم النبي ﷺ بمكرهم حاصرهم بالكتائب، وقال: «إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه، فأبوا فحاصرهم حتى أجلاهم»(١). والقاسم المشترك بين الروايتين هو الغدر برسول الله ﷺ ونقض العهد..

موقف [WATT] من سبب الغزوة:

تميز موقف [WATT] بشيء من الإنحياز والميل تجاه يهود بني النضير، وتمثل ذلك الميل - غير الموضوعي - في التماس تبريرات لفعل بني النضير، فمن ذلك قوله: «ولربما فكر محمد بأن على اليهود أن يدفعوا أكثر في دية القتيلين من بني عامر، مما يدفعه متوسط سكان المدينة، وراق لليهود أن يدفعوا أقل». (٢).

وهذا احتمال وتكهن لا أصل له، الأولى أن ينزه عنه البحث العلمي، فالرواية التي اعتمد عليها المستشرق لم تشر من قريب أو بعيد لهذا الاحتمال، وإنما أشارت إلى طبيعة اليهود في نقضهم للعهود، فتحميل النصوص أكثر من معانيها أمر مرفوض علمياً.

---

١) سنن أبي داود ١٧١/٢، وقال ابن حجر: «فهذا أقوى مما ذكره ابن إسحاق» انظر: الفتح: ٣٣٢/٧، وقال الالباني: «صحيح الاسناد»، انظر: صحيح سنن أبي داود: ٥٨٢/٢، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة ١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٢) محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٣٢٢.

المطلب الثاني
موقفه من غزوة بني قريظة

تمهيـــــد:

سعى يهود بني النضير إلى جمع قريش وغيرها من القبائل لحصار المدينة والقضاء على المسلمين فيها(١)، فلما اجتمعت الأحزاب من قريش وغطفان وغيرها، خندّق المسلمون حول المدينة خندقاً، وحاصرت الأحزاب المدينة أربعاً وعشرين ليلة(٢).

وقد وصف الله عز وجل ما حل بالمسلمين من البلاء بقوله سبحانه: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديداً﴾(٣).

في هذا الظرف العصيب، الحرج، برزت الطبيعة اليهودية الناقضة للعهود على مر التاريخ فنقضت بنو قريظة العهد مع المؤمنين، وذلك بتحريض من حيي بن أخطب النضري(٤) وهو أحد زعماء بني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ إلى خيبر، وأرسل النبي ﷺ الزبير بن العوام ليستطلع له خبر قريظة(٥) فوجدهم قد نقضوا العهد، فزاد

---

١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧٣/٢.

٢) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٧٣/٢.

٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٠-١١.

٤) انظر: عبدالرزاق الصنعاني، المصنف، ٣٦٨/٥، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، ١٣٩٠هـ دار القلم، بيروت.

٥) انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٤٠٦/٧.

البلاء على المسلمين خوفاً على ذراريهم ونسائهم من اليهود.

وفتحت يهود بني قريظة بذلك جبهة قتال أخرى ضد المسلمين في ذلك الظرف الحرج، فكان حال المسلمين كما وصفه الله تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم﴾ أي قريش وغطفان، ﴿ومن أسفل منكم﴾ أي قريظة(١)، وثبت المؤمنون ثبات الجبال الراسيات،وما زادهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً﴾(٢).

وبرز النفاق على ألسنة أهله ﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾(٣)، ثم أتى النصر الإلهي لعباده المؤمنين، فتفرق الأحزاب، وكفى الله المؤمنين القتال ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾(٤).

ثم أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بأن يتوجه إلى ناقضي العهد من بني قريظة(٥)، وأمر النبي ﷺ المؤمنين بأن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة(٦)، فحاصرهم النبي ﷺ حتى نزلوا على حكمه ورضوا بأن يحكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فحكم بأن يقتل مقاتلوهم، وتسبى

١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٥١٩/٣.

٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

٣) سورة الأحزاب، الآية: ١٣.

٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

٥) انظر: صحيح البخاري، (نسخة الفتح) ٤٠٧/٧.

٦) المصدر السابق: ٤٠٨/٧.

ذراريهم، فقال له النبي ﷺ [قضيت بحكم الله](1).

موقف [WATT] من فعل بني قريظة:

أشار [WATT] إلى خطورة فعل بني قريظة يوم الخندق بقوله: "وقد ظلت هذه القبيلة [بنو قريظة] أثناء حصار المدينة على الحياد، فيما يتعلق بالعمل العسكري، ولكنها قامت بمفاوضات مع أعداء محمد، ولو أنها وثقت من قريش وحلفائهم من اليهود لانقلبت على محمد"(2).

واعتبر "أن هجوم بني قريظة من الجنوب على مؤخرة المسلمين كان بإمكانه القضاء(3) على رسالة محمد"(4).

ولكن أخذ يشكك في وجود معاهدة بين النبي ﷺ وبني قريظة، فمن ذلك قوله: "وتقول القبيلة فيما يلي أنها لم تعقد معاهدة مع محمد، وربما يعني ذلك إما أن المعاهد قد فسخت، أو أنه لم توجد معاهدة قط"(5).

ثم أخذ يناقش - في موضوع دستور المدينة - عدم ورود ذكر للقبائل اليهودية الثلاثة الكبيرة (بني قينقاع، بني النضير، بني قريظة) وخرج بنتيجة مفادها ويبدو طبيعياً أن القبائل الثلاثة اليهودية الرئيسة لم

---

1) المصدر السابق: ٤١١/٧.

2) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٣٢٦.

3) مع التنبيه على خطأ قوله: "القضاء على رسالة محمد"، فإن رسالة الإسلام باقية ما بقي الليل والنهار، لا يضرها كيد الكائدين ومكر الماكرين، وهو لازم قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

4) المصدر السابق: ٥٨.

5) المصدر السابق: ٢٩٩.

تذكر في هذه الوثيقة وإذا كان الأمر كذلك فإن الوثيقة في شكلها الحالي يمكن أن ترجع للزمن الذي تلا إزالة بني قريظة»(١).

المناقشة والردود:

سبق أن تعرضت لمعاهدة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار واليهود (٢)، حين مقدمه ﷺ إلى المدينة، وأن بنود هذه الوثيقة ذكرها ابن إسحاق كاملة في سيرته، وذكرت بعض بنودها كتب الحديث، وأمر موادعة اليهود «مشروع عند أهل العلم بمنزلة المتواتر بينهم، حتى قال الشافعي: لم أعلم مخالفاً من أهل العلم بالسِّير أن رسول الله ﷺ لما نزل المدينة وادع اليهود كافة على غير جزية وهو كما قال الشافعي»(٣).

أما بشأن عدم ورود اسم القبائل الثلاثة في الصحيفة (المعاهدة)(٤) فيجاب عن ذلك بأمور:

١- أن الصحيفة نسبتهم إلى عشائرهم العربية، وأقرت حلفهم مع المسلمين، وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين(٥).

ولا يوجد في المدينة قبيلة يهودية إلا ولها حلف إما مع الأوس أو مع بطون الخزرج فكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفاء الخزرج، وكانت

---

١) المصدر السابق: ٣٤٦.

٢) ص : ٦٦.

٣) انظر، ابن تيمية، الصارم المسلول : ٦٢.

٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٦٧/٢.

٥) انظر، أكرم حسين علي، مرويات تاريخ يهود المدينة، رسالة ماجستير، نوقشت عام ١٣٩٩هـ ـ ١٤٠٠هـ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مطبوع على الآلة.

قريظة حلفاء الأوس(١).

والصحيفة شملت حلفاء الأوس والخزرج، فمن ذلك: «وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة»(٢).

٢- وتوجد أيضاً بنود عامة تشمل يهود المدينة كلهم، مثل: «وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين»(٣).

أما بشأن زعم [WATT] بأن معاهدة النبي ﷺ مع قريظة قد فسخت، أو أنها غير موجودة أصلاً، فهو زعم يكذبه ما بينته من أن بني قريظة داخلة ضمن من عاهد النبي ﷺ في الصحيفة، وإن لم يذكر اسمها صراحة، ويضاف إلى ذلك ما سبق أن النبي ﷺ أكّد المعاهدة مع بني قريظة في أثناء إجلاء بني النضير.

فقد أخرج أبو داود في سننه خبر إجلاء بني النضير وذكر فيه قول النبي ﷺ لهم: «إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه»(٤) فأبوا أن يعطوه عهداً فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب... ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم.

ثم إن [WATT] اعتمد في حكمه عدم وجود معاهدة بين النبي ﷺ وبني قريظة على كلام لبني قريظة ورد في رواية ابن إسحاق التي أشار إليها [WATT] في الحاشية(٥).. وجاء فيها: أن النبي ﷺ أرسل يوم

---

١) ابن تيمية، الصارم المسلول: ٦٢.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/١٧٢.

٣) المصدر السابق: ٢/١٦٩.

٤) سبق تخريجه ص ٧٣.

الخندق سعد بن معاذ وسعد بن عبادة إلى يهود قريظة ليتحقق من خبر نقضهم العهد، فلما التقيا باليهود شاتموهم اليهود وقالوا: من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد»(١).. وهذا نقض منهم للعهد مع رسول الله ﷺ وليس نفياً له على الحقيقة في الخبر.

ومما يدل كذلك على وجود العهد، أن بداية الرواية والتي أغفلها المستشرق ورد فيها محاولة حيي بن أخطب مع كعب بن أسد القرظي زعيم قريظة حتى ينقض الثاني العهد مع النبي ﷺ فكان من أمر كعب بن أسد أن قال: "إنك امرؤ مشؤوم، [أي حيي بن أخطب]، وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً"(٢) ولكن ما لبث كعباً أن نقض العهد مع النبي ﷺ.

فالمستشرق [WATT] انتهج منهج الانتقاء الكيفي في نقل الرواية، فاعتمد على آخرها وبنى حكمه عليها، وأغفل أولها الذي ورد فيه التصريح من قبل زعيم قريظة «كعب» بوجود العهد مع النبي ﷺ.

موقفه من فعل الأوس:

لما اشتد الحصار على بني قريظة، قالوا: «ننزل على حكم سعد بن معاذ، فقال رسول الله ﷺ انزلوا على حكم سعد بن معاذ، فنزلوا، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأتي به على حمار... وحف به قومه «الأوس» فقالوا: يا أبا عمرو: حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد

---

٥) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٢٩٩.

١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/٣٠٩.

٢) المصدر السابق: ٣/٣٠٧.

علمت.. فقال: قد آن لي أن لا أبالي في الله لومة لائم»(١).

موقف [WATT] :

يقول [WATT]:«ويبدو أن الأوس الذين طلبوا التسامح مع قريظة اعتبروها غير وفية لمحمد وليس للأوس، وهذا يعني أن أنصار الشفقة كانوا يعتبرون أنفسهم قبل كل شيء أفراد الأوس وليس أفراد الأمة الإسلامية»(٢) وصدّر كلامه ذلك بتساؤل وهو:"هل الولاء للأمة الإسلامية فوق كل ولاء..؟!"(٣).

المناقشة والردود:

بنى [WATT] حكمه السابق على خبر شفاعة الأوس لحلفائهم عند رسول الله ﷺ وهذا استثمار مخطىء لحدث تاريخي صحيح، فالنبي ﷺ أقر أحلاف الأوس والخزرج مع غيرهما من قبائل المدينة، وذلك ظاهر من بنود الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ بينه وبين المهاجرين والأنصار واليهود، ومنها: «وإن يهود الأوس على مثل ما لأهل هذه الصحيفة»(٤).

وشفاعة الأوس لحلفائهم من بني قريظة هو من باب الوفاء للحلف القديم، ولكن لا يعني الوفاء لذلك الحلف تقديمه على عقيدة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفر والكافرين، فإن عقيدة الولاء للإسلام والبراء من الكفر لازم من لوازم الايمان، وتركها ناقض من نواقض الإسلام.. ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من

---

١) أخرجه الامام أحمد في مسنده ١٤٢/٦، وابن سعد في طبقاته ٤٢١/٣.

٢) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٣٢٨.

٣) المصدر السابق: ٣٢٧.

٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٢/٢.

حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم...﴾(١).

والأوس رضوان الله عليهم هم خير من فقه ذلك وطبقه، فلو كان للحلف أثر سوى ما ذكرت ما حاربت الأوس مع المسلمين حليفهم القديم - بني قريظة - وما لبث نداء النبي ﷺ [لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة](٢).

ومما يشهد لما قررت أن الذي حكم على بني قريظة هو سعد بن معاذ وهو سيد الأوس، ومما يشهد أيضاً أن من بين الذين نفذوا حكم القتل على بني قريظة كانوا من الأوس، وعاتب أحد الكفار من الأوس أخاه المسلم من الأوس أيضاً لقتله كعب بن يهوذا من بني قريظة، وقال له: «أقتلت كعب بن يهوذا؟ أما والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله، فرد عليه أخوه المسلم: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك»(٣).. فتعجب أخوه الكافر من ذلك الولاء فأسلم.

ومما يشهد لما سبق سيرة الأوس رضوان الله عليهم، فقد كانوا جنوداً للحق مخلصين لأمتهم..

وبذلك يتضح زيف إدعاء [WATT] ويتضح كذلك أنه لا مكان للولاء المزدوج في نفوس الأوس رضوان الله عليهم، فقد اعتبر الأوس بني قريظة خونة وغير أوفياء لهم ولله ولرسوله وللمؤمنين، والدليل هو مشاركة الأوس في قتال قريظة، وفي تنفيذ حكم الله فيهم..

---

١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

٢) سبق تخريجه ص ٧٥.

٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٨٤.

المبحث الرابع

موقف [WATT] من غزوات النبي ﷺ ضد الروم

المطلب الأول: الموقف العام

المطلب الثاني: موقفه من غزوة تبوك

❑ ❑ ❑

❑ ❑

❑

المطلب الأول

الموقف العـــــــــــــام

أولا: دعوى العامل الاجتماعي

ثانياً: دعوى العامل الاقتصادي

❑❑❑
❑❑
❑

أولاً: دعوى العامل الاجتماعي.

كان موقف [WATT] من غزوات النبي ﷺ تجاه الشمال أو بلاد الروم لا يختلف كثيراً عن الموقف الاستشراقي العام(١)، فقد كان للعاملين الاقتصادي والاجتماعي دوره في تفسير [WATT] لأهداف ومقاصد غزوات النبي ﷺ ضد الروم.

دعوى العامل الاجتماعي:

صوّر [WATT] جهاد النبي ﷺ ضد الشمال عامة والروم خاصة، على أنه محاولة لإيجاد "متنفس لطاقات العرب وليمنعهم من التناحر فيما بينهم، فلقد كرس كل انتباهه لطريق سورية على أنها مجال للتوسع الأسهل"(٢).

وفي هذا الزعم جهل أو تجاهل لطبيعة الجهاد في الإسلام، فالجهاد ارتبط بغاية عظيمة ألا وهي تبليغ شرع الله لعباده وإزالة العقبات من طريق وصوله إليهم..

فتعليل [WATT] بأن جهاد النبي ﷺ ضد الروم محاولة منه لمنع التناحر بين المسلمين، أمر ترفضه طبيعة الجهاد الإسلامي، ورسائل النبي ﷺ لملوك الأرض عامة، ومنهم ملوك الشمال عامة، والروم

---

١) انظر: روم لاندو ، الإسلام والعرب: ٥٩، ترجمة منير البعلبكي ، نشر دار العلم للملايين، بيروت، وانظر: فليب حتي: ٢٧ ، صانعوا تاريخ العرب، ٥٩، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة.

٢) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٢١٥، وانظر أيضاً: ٦٧، ١٠٨، ٢١٩، ٢٨٨.

خاصة(١) تفند كذلك هذا الزعم الذي ليس له دليل إلا الظن..

وتضمنت هذه الرسائل دعوة أولئك الملوك إلى الإسلام، وأن يخلى بينه وبين شعوبهم، وهو دليل من الأدلة الكثيرة الواضحة على طبيعة جهاد النبي ﷺ ضد الروم وغيرهم.. - حاول [WATT] التشكيك فيه وفي تلك الرسائل، ولكن تلك الرسائل أثبت من أن يطعن أو يشكك فيها كما أنها منسجمة مع طبيعة هذا الدين وعالميته..

و [WATT] في زعمه السابق يسقط وضع التاريخ الأوروبي على السيرة النبوية، ووضع الحروب الصليبية على جهاد النبي ﷺ ، وهو ما صرّح به في أحد كتبه(٢) بقوله: "كان يمكن لحروب صليبية أن تحوّل الطاقات المادية إلى مواجهة عدو مشترك وتقلل من القتال بين النصارى وهذا لم يكن مغايراً أو مختلفاً عن النمط الذي اتبعه محمد مع القبائل العربية"(٣)، وهو إسقاط مرفوض، لتغاير البيئتين، والوجهتين، واختلافهما، فالبيئة الغربية آنذاك لم يكن بها تشريع اجتماعي واقعي، يحول دون ذلك الاقتتال، بل كان الإقطاع شائعاً وسائداً، كما أشار إلى ذلك [WATT] نفسه(٤).

---

١) سبق تخريج خبر إرسال الرسل إلى ملوك الأرض: ص ٢٩.

٢) Muslim Christian enconunters: Perception and miss perceptions; p .78, London, Routclage, 1991.

٣) المرجع السابق.

٤) المرجع السابق، ٧٨، وانظر لمعرفة أهداف وأغراض الحروب الصليبية وبيئة أوروبا آنذاك: سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية ٣٤/١، ط٣، ١٩٧٨م، نشر مكتبة الانجلو المصرية.

وفي المقابل، كانت تشريعات الاسلام الداخلية والخارجية تنظم البيئة الإسلامية، وتحدد علاقة الفرد بغيره، وعلاقة الفرد بمجتمعه، فمن أوائل تنظيمات النبي ﷺ في المدينة عند قدومه المآخاة بين المهاجرين والأنصار، حتى ضربوا بذلك أروع الأمثلة وأعظمها في الأخوة والإيثار(١).

فلم يكن لذلك التناحر المزعوم، مكان في البيئة الإسلامية، حتى يلجأ النبي ﷺ لتلك المحاولة المزعومة أيضاً..

ولو كان الجهاد ضد الشمال عامة وسورية خاصة، هو متنفس للعرب وتوجيه لطاقاتهم لاقتصر على فتح تلك البقعة ولكن رايات الجهاد انطلقت إلى ما بعد الشام شمالا وإلى حدود أوروبا غرباً لأن الجهاد وسيلة لغاية عظيمة وهي نشر دين الله عز وجل في الأرض قاطبة..

ثانياً: دعوى العامل الاجتماعي:

استبعد - أو تجاهل - [WATT] الأسباب والأهداف الحقيقية لجهاد النبي ﷺ ضد الشمال عامة والروم خاصة، وأخذ يبحث عن أسباب واحتمالات واستنتاجات تؤيد حكمه السابق الذي تبناه، فتارة يدعي غموض سياسة النبي ﷺ تجاه الشمال، فيقول: «ليست غزوة مؤتة الكبرى جزءاً من السياسة الخفية الشمالية فقط بل هي غريبة في

---

١) انظر: صحيح البخاري، (نسخة الفتح) ٧/٢٧٠.

ذاتها»(١)، ثم يبرر لنفسه أن يستنتج هذه السياسة الغامضة على حد زعمه - نظراً لأن المصادر تضن عليه بكثير من التفاصيل، فيضطر «إلى استنتاج الأسباب لهذا التفضيل الاستراتيجي لطريق الشمال»..(٢).

ثم إذا اصطدم حكمه السابق بالحقائق والوثائق أخذ يشكك في تلك الحقائق التاريخية وينفيها ليثبت ذلك الحكم الذي تبناه سلفاً، فمن ذلك تشكيكه في صحة رسائل النبي ﷺ لملوك الشمال ومنهم ملك الروم، لأن في تلك الرسائل توضيحاً شافياً لسياسة النبي ﷺ تجاه الشمال.

فمن ذلك قوله: «وهذا شيء غير معقول [يقصد إرسال الرسائل إلى الملوك] إذا كانت الرسائل دعوة إلى الدخول في الإسلام والاعتراف بمحمد كزعيم ديني لأنه لا يمكن تصور امبراطور الروم ونجاشي الحبشة يستجيبان لمثل هذه الدعوة»(٣).

ثم أخذ [WATT] يثبت بعد عملية النفي والتشكيك، ما تبناه من حكم سابق فيقول:

«غير أن عدد الجمال والخراف التي يمكن للصحراء تربيتها لا يمكن أن يزداد، كانت الدولة الإسلامية في حاجة إلى توسيع دائرة نفوذها باستمرار»(٤).

ويقول أيضاً: «ومن الأقرب أن يكون سبب اهتمامه [يقصد قبائل الشمال] أهمية التجارة السورية في الاقتصاد المكي»(٥).

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٧٩.

٢) المصدر السابق: ١٥٨.

٣) المصدر السابق: ٦٢، وانظر: ١٧١.

٤) المصدر السابق: ٦٩.

ومعلوم تهافت وتفاهة مثل هذه الشبهة الاستشراقية العامة والتي تتساقط عند عرضها على طبيعة الجهاد الإسلامي، ويتضح ذلك جلياً من الشروط والوسائل التي تسبق القتال، كالدعوة إلى الإسلام، أو دفع الجزية (١)، عند رفض الدعوة الإسلامية، وكلا الشرطين يدلان على أن غاية الجهاد الإسلامي أسمى وأرفع من تلك التهم المادية.

فالطرف المحارب إذا أعلن إسلامه أحرز دمه وماله، ولم يكن للمسلمين منه شيء، بل هو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ولو كان للجهاد غرض مادي كما زعم [WATT] ما كانت تلك الشروط أصلا..

وإن رفض الطرف الآخر الإسلام عرضت عليه الجزية مقابل حمايته والدفاع عنه فيكون بذلك من أهل الذمة، وإن عجزت الدولة الإسلامية عن حمايته ردت إليه جزيته، والجزية دراهم معدودة يخرجها الذمي(٢) جزاء حماية الدولة الإسلامية له، "وإن كان المسلمون حقاً خرجوا بقصد تحسين أوضاعهم المادية فإن الجزية لا تكفيهم أبداً لقلتها وكثرة عددهم"(٣).

ثم إذا وقع القتال حلّت الغنائم للمسلمين نكالا وجزاء لمن يقف أمام انتشار دين الله في أرضه، ومكافأة للمجاهدين المؤمنين ولكن لا يعني ذلك أن الغنائم هي غاية ومبعث من بواعث الجهاد؟!!

---

٥) المصدر السابق: ٦٧.

١) انظر: صحيح البخاري، (نسخة الفتح) ٦/٢٥٨.

٢) انظر: المصدر السابق: ٦/٢٥٧.

٣) محمد فتح الله الزيادي، انتشار الإسلام وموقف المستشرقين: ١٥٦، نشر دار قتيبة، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

فقد ثبت في بعض الغزوات أن المسلمين ردوا كثيراً من الغنائم لأهلها كغزوة حنين مثلا(١) لمّا علموا أن أهلها قد أسلموا، وكان حال الصحابة بعد فتح البلدان ينبىء عن مقاصدهم ومقاصد الجهاد الإسلامي، فقد كانوا مشاعل خير للبشرية يبشرون بدين الله في البلدان المفتوحة، حتى أصبح أهل تلك البلدان يفضلونهم على بني جنسهم، «فكان النصارى إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين»(٢).

ومما يدل دلالة واضحة على سمو مقاصد الجهاد الإسلامي وتجرده من تلك الأغراض المادية، حال النبي ﷺ وحال أصحابه..

موقف [WATT] من غزوة تبوك

تمهيـــــد:

خرج النبي ﷺ في ثلاثين ألفاً من أصحابه(٣) يريد غزو الروم، «ولم يكن لهذه الغزوة سبب خاص»(٤)، فبعد نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن

---

١) انظر: صحيح البخاري، (نسخة الفتح) ٣٣/٨.

٢) انظر: ابن حجر الهيثمي، الصواعق المحرقة، ٢١٠، نقلا عن محسن عبدالناظر، الحياة الدينية في القرن الهجري الاول بين الواقع وما افترضه المستشرق جولد تسيهر ، مجلة مركز بحوث السنة والسيرة : ٥٦٦، العدد الثالث: ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣) انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى:/ ١١٦/٢.

٤) عبدالقادر السندي، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، ٦٣، نشر مكتبة المعلا، الكويت، ط ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

الله مع المتقين﴾(١) «وكان الروم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة إلى الحق، لقربهم إلى الإسلام وأهله»(٢).

سار النبي ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، ولذلك عندما قدم النبي ﷺ إلى تبوك أرسل كتاباً إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام أو الجزية أو الحرب(٣).

موقف المنافقين من غزوة تبوك:

شكّل المنافقون في المدينة إبّان العهد النبوي حزباً معارضاً للإسلام وأهله، لا هم له إلا الكيد والنيل من الإسلام والمسلمين، فما فتئوا يستغلون كل ظرف ووقت، ليشوهوا صورة هذا الدين أمام أصحابه، وليبثوا الفتن والشبه والإرجاف بين صفوف المسلمين، ولكن الله عز وجل كشف وجلّى صفاتهم للمؤمنين صغيرها وكبيرها، ورد على شبههم ومؤامراتهم، حتى أصبحوا معروفين في مجتمع المدينة الإسلامي (٤)، فبيّن الله عز وجل صفاتهم وخلجات نفوسهم، وما تكنه

---

١) سورة التوبة، الآية: ١٢٣

٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٣.

٣) انظر: مسند الإمام أحمد ٧٤/٤، وقال ابن كثير: «هذا حديث غريب، إسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد» البداية والنهاية، ٣/٥، وقال السندي: «إسناده جيد»، الذهب المسبوك: ٣٢٨.

٤) وردت عدة روايات تدل على أنهم كانوا معروفين في مجتمع المدينة، منها حديث كعب بن مالك : لما تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك قال: «فكنت إذا خرجت في الناس فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه النفاق» البخاري (الصحيح) ١١٤/٨، وانظر: ابن هشام السيرة النبوية، ٢٣٦/٤، وفيه التصريح بمعرفة المنافقين المعرفة الدقيقة.

صدورهم في الدنيا، وبيّن جزاءهم في الآخرة فقال: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾(١).

وكان موقف النبي ﷺ منهم موقفاً حكيماً راعى فيه ﷺ مصلحة أكبر وهي صورة المجتمع الإسلامي أمام غيره من المجتمعات، فحرص أن يظهر هذا المجتمع بصورة متماسكة، لذا عندما سئل النبي ﷺ عن عدم معاقبته بعض المنافقين الذين صرّحوا بالعداوة والنفاق، كعبدالله بن أبي رأس المنافقين في المدينة، قال: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه»(٢)..

وذلك لأن المنافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فصورته أمام المجتمعات الأخرى هي الصورة الإسلامية فقتله قد يصد تلك المجتمعات عن الدخول في الإسلام، بحجة أن النبي ﷺ يقتل أتباعه من المسلمين، وفي ذلك مفسدة عظيمة.

وكان للمنافقين مواقف عدائية عامة وفي غزوة تبوك خاصة، فمن تلك المواقف:

١- تخلفهم عن الغزوة:

اعتذر المنافقون بأعذار واهية للنبي ﷺ يبررون تخلفهم عنه، وبيّن الله عز وجل كذب أعذارهم وزيف ادعاءاتهم فقال: ﴿لو كان عرضاً قريباً

---

١) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

٢) أخرجه البخاري في صحيحه (نسخة الفتح) ٦٥، كتاب التفسير، ٥ باب قوله: ﴿سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٦٤٨/٨.

وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة..﴾(١).

٢- إرجافهم بالمؤمنين وتخويفهم من عدوهم:

فمن ذلك قولهم للمؤمنين: «أتحسبون جلاء بني النضير كقتال العرب بعضهم بعضاً، والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين».(٢).

٣- محاولتهم قتل النبي ﷺ:

تعرض بعض المنافقين المتلثمين لراحلة النبي ﷺ وهو مقبل من تبوك، يريدون أن يسقطوه من عليها، فأقبل عمار يضرب وجوه رواحلهم حتى نفروا (٣).

٤- لمزهم للمتطوعين في الصدقات:

حث النبي ﷺ الصحابة على الإنفاق في سبيل الله، فكان منهم المكثر في الصدقة كعثمان بن عفان، وكان منهم الفقير الذي تصدق بما يستطيع، فأخذ المنافقون يلمزون المكثر بأنه مراء، ويلمزون الذي لا يجد إلا جهده بأن الله غني عن صدقته تلك(٤) فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات...﴾(٥).

٥- بناء مسجد الضرار:

لما بنى النبي ﷺ مسجد قباء، بنى المنافقون مسجد الضرار،

---

١) التوبة، الآية: ٤٢.

٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/٢٢٩.

٣) انظر: مسند الإمام أحمد : ٥/٣٩٠.

٤) انظر: صحيح البخاري (نسخة الفتح) ٨/٣٣٠.

٥) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

وأعدوه إلى أبي عامر الراهب(١). عند قدومه من الشام، حيث ذهب إلى قيصر الروم يستعينه في محاربة النبي ﷺ،وظن المنافقون أنه سيظهر على النبي ﷺ، وأتوا إلى النبي ﷺ، وهو يتجهز إلى تبوك، وطلبوا منه أن يصلي لهم فيه فأنزل الله عز وجل على نبيه قوله: ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله.. لا تقم فيه أبداً..﴾(٢).

موقف [WATT] من فعل المنافقين في غزوة تبوك:

اعتبر [WATT] أن سلوك المنافقين في المدينة عامة وفي غزوة تبوك خاصة "معارضة إسلامية" للنبي ﷺ في سنواته الأخيرة الخمس(٣) ودلّل على حكمه (وجود معارضة إسلامية في المدينة) بأمثلة وحوادث منها:

أفعال المنافقين في غزوة تبوك، فمن ذلك قوله:"وكان بعض رجال المدينة الموسرين يعترضون على هذا القرار بسبب ما يسببه لهم من إزعاج، لأنه يتطلب منهم الاشتراك شخصياً في الغزوات، أو دفع الصدقات فقبضوا أيديهم بشدة وسخروا من الذين كانوا يعطون بسخاء من أجل هذه القضية"(٤).

---

١) سماه الرسول ﷺ الفاسق، وهو عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضبيعة ((وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ معه خمسون غلاماً من الأوس، ولما التقى بالمسلمين من الأوس، قال: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: قد أنعم الله بك عيناً يا فاسق" ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/٩٧-٩٨.

٢) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١/٢٤.

٣) انظر: "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٢٨٥-٢٩١.

المناقشة والرد:

يخلط المستشرق [WATT] في موقفه السابق الأوراق ويشوه وجه الحقيقة بنظرته إلى أن المنافقين جزء من الأمة الإسلامية، والإسلام قائم على طاعة الله ورسوله، وطاعة الرسول ﷺ طاعة لمن أرسله وهو الله عز وجل، ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(١).. فكيف تجتمع معارضة النبي ﷺ والتخطيط لقتله ولإطفاء نور الله في الأرض مع الايمان والإسلام؟!!

فالمنافقون ملتهم الكفر، وإن أظهروا الإسلام، ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾(٢)، فمصطلح المعارضة الإسلامية، بمعنى معارضة النبي ﷺ مصطلح ينقض أوله آخره..

ويشير [WATT] في زعمه السابق إلى خبر استهزاء المنافقين بالمتصدقين من المؤمنين، ولكنه لم يكشف عن هويتهم الحقيقية، وإنما أوهم قوله «بعض رجال المدينة» التعميم في الحكم وأن ذلك قد ينسحب على الصحابة رضوان الله عليهم، وكان الأولى أن يبيّن أولئك الرجال المؤسرين، ثم علّل سبب استهزاء المنافقين بالمتصدقين المؤمنين تعليلا دفاعياً تبريرياً لا يتناسب وواقع الروايات التاريخية الثابتة.

فاستهزاء المنافقين كان منطلقه الحقد على الإسلام والمسلمين، وكان ذلك جزءاً من مخططهم للقضاء على الإسلام في المدينة..

ثم ما العلاقة بين تخلفهم عن الغزوة وبين سخريتهم ولمزهم للمؤمنين

---

٤) المصدر السابق: ٢٨٨.

١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

المتصدقين؟

لا شك أنه النفاق الصرف، وأنه التخطيط للقضاء على هذا الدين ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور﴾(١). وإلا فقد تخلف بعض المسلمين عن الغزوة ومع ذلك لم يصدر منهم ذلك الاستهزاء واللمز مما يدل على صدق إيمانهم مع تقصيرهم في تخلفهم عن رسول الله ﷺ كما يدل على أن المنافقين ليسوا من جماعة المسلمين حتى تحسب أفعالهم على المسلمين.

ودلّل على إدعاء وجود معارضة إسلامية بمحاولة قتل النبي ﷺ في غزوة تبوك، وبناء مسجد الضرار، مع أنه صرّح بأن ذلك المسجد «بُني ليكون محل التقاء يجتمع فيه المعارضون لوضع خططهم بدون إزعاج، وأن الذين بنوه من أنصار أبي عامر الراهب»(٢).

ولكن، لعل [WATT] لا يدرك معنى الدخول في الإسلام، إن أحسنا الظن، والذي من أوجب واجباته الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكفر، والكافرين، وإن الإخلال بهذا الواجب نقض لأصل الإسلام، ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله...﴾(٣)، فكيف يجتمع الولاء لعدو من أعداء الإسلام، أبي عامر الراهب، والولاء للإسلام نفسه؟!!

يتضح مما سبق، أن ما ذكره [WATT] من أدلة تشير إلى وجود

---

١) سورة التوبة، الآية: ٤٨.

٢) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٢٨٩.

٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

معارضة إسلامية ضد النبي ﷺ أمر غير صحيح، وخلط بين المؤمنين وبين غيرهم من المنافقين، ويتضح هذا الخلط في اعتبار [WATT] رأس المنافقين عبدالله بن أبي مسلماً «بل يرى أنه بعد أن تقدمت به السن أصبح مسلماً متحمساً»(١)، واستدل بأن النبي ﷺ صلى عليه، وأمر صلاة النبي ﷺ على ابن أبي، أمر ثابت(٢)، ولكن الله نهاه بعد ذلك أن يصلي على المنافقين ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾(٣)..

فهذا نص صريح في كفر ابن أبي، وغيره من المنافقين، فبذلك يتضح أن عزوه أفعال المنافقين إلى الأمة الإسلامية أمر مرفوض وغير صحيح..

❑❑❑
❑❑
❑

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٢٨٣.

٢) انظر: صحيح البخاري: ٨/٣٣٧.

٣) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

الفصـــــل الثانــــي

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: النزعة الشكية والنفي الكيفي والاحتمال.
- المبحث الثاني: التفسير المادي للأحداث.
- المبحث الثالث: منهج المستشرق [WATT] في الأخذ بالروايات.

❑❑❑

❑❑

❑

المبحث الأول

النزعة الشكية والنفي الكيفي والاحتمال

المطلب الأول: النزعة الشكية والنفي الكيفي

المطلب الثاني: الاحتمال

❑❑❑

❑❑

❑

مقدمـــة

بعد أن استعرضت موقف المستشرق [WATT] من غزوات النبي ﷺ، ناسب أن أردف الحديث عن الموقف بالحديث عن المنهج الذي سار عليه [WATT] في دراسته لغزوات النبي ﷺ، حتى تتضح الجذور العميقة لتلك الأخطاء، والتجاوزات اللامنهجية، «فإذا استطعنا أن نضع أيدينا على عيوب المنهج وشروخه، استطعنا معرفة المنبع الذي يتمخض عنه تيار الأخطاء الموضوعية، وخلخلة الأسس التي آتت هذه الثمار المرة واقتلاعها»(١).

وسوف أستعرض - إن شاء الله - في هذا الفصل أبرز المناهج التي اتبعها [WATT] في دراسته لغزوات النبي ﷺ، علماً بأني قد أشرت إلى بعضها في أثناء مناقشة مواقف المستشرق العامة والجزئية تجاه أحداث الغزوات.

* * *

---

١) عماد الدين الخليل. المستشرقون والسيرة النبوية: بحث مقارن في منهج المستشرق البريطاني المعاصر «مونتغمري وات»، كتاب مناهج المستشرقين: ١/١١٩، مرجع سابق.

المطلب الأول

النزعة الشكية والنفي الكيفي

ساد في أوروبا - في القرن الثامن عشر والتاسع عشر - مذاهب فلسفية نقدية تحليلية، كان لها دور في التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية في أوروبا، ومن تلك المناهج والفلسفات، فلسفة الشك للفيلسوف الفرنسي المشهور "رينيه ديكارت"(١).

وتقوم فلسفته على الشك في المعرفة الموروثة للوصول بها إلى اليقين، واعتمد على البديهيات والمسلمات للوصول إلى المعارف والظواهر المركبة المعقدة، "وأيقن أنه لو طبق على كل علم [كالعلوم الإنسانية] المنهج الذي يتبعه الرياضيون في الوصول إلى براهينهم لبلغت العلوم درجة الرياضة من حيث استقرار النتائج"(٢).

ولم يكن شك "ديكارت" في المعرفة من أجل الشك نفسه، ولكن للوصول بها إلى اليقين الجازم.

يقول "ديكارت": "ما كنت في ذلك [الشك] مقلداً اللاادريه الذين لا

---

١) رينيه ديكارت: ولد سنة ١٥٩٦م، في مدينة لاهاي في فرنسا، وتلقى تعليمه فيها، ودرس الفلسفة والرياضيات والمنطق والطبيعيات في مدرسة "لافلش" اليسوعية، ثم تنقل في أوروبا لدراسة الرياضيات حتى توصل إلى فلسفته الشكية عام ١٦١٩م، انظر: مقال عن المنهج، ديكارت، ص ٩، ترجمة محمود محمد الخضيري.

٢) مقال عن المنهج: ٤٠.

يشكون إلا لكي يشكوا، ويتكلفون أن يظلوا دائماً حيارى، فإنني على العكس، كان مقصدي لا يرمي إلا إلى اليقين»(١).

وشاع هذا المنهج كثيراً في أوروبا، بل أصبح أساساً لكثير من الحركات السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، حتى قيل: «إن الثورة الفرنسية وليدة المقال عن المنهج»(٢).

ولهذا المنهج أصل في الفكر الإسلامي، فقد نظّر حجة الإسلام «أبو حامد الغزالي» هذا المنهج في دراسته للفرق الإسلامية، فمن ذلك قوله: «ولم يكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية، فإذا لم تكن مسلمة لم يكن ترتيب الدليل»(٣)، ويقصد بذلك أن الاعتماد على المسلمات والبديهيات أمر موثوق به لا يمكن الشك فيه، وبه يتوصل إلى المعارف والظواهر الأخرى المركبة.

واستثمر بعض المستشرقين ذلك المنهج استثماراً مخطئاً، فكان شكهم في أحداث السيرة النبوية من أجل الشك نفسه، وللوصول إلى أغراض شخصية لا موضوعية، فغالوا في كتاباتهم في النزعة الى الشك والتشكيك، «واجهدوا أنفسهم في إثارة الشكوك في وقائعها، وقد أثاروا الشك حتى في اسم الرسول ﷺ، ولو تمكنوا لأثاروا الشك

---

١) مقال عن المنهج: ٨٥-٨٦.

٢) المصدر السابق: ٥٠.

٣) المنقذ من الضلال، والموصل إلى ذي العزة والجلال: ٨٦، تحقيق: جميل صليبا، وكامل عياد، نشر دار الأندلس.

حتى في وجوده(١).

استخدم [WATT] الشك اللامنهجي «الشك من أجل الشك نفسه وبدون دليل» في دراسته لغزوات النبي ﷺ بشكل واسع، شمل جزئيات وكليات السيرة النبوية، وألفت «عمليات الشك اللامنهجي والنفي الكيفي» القارئ أمام سيرة شوهت ملامحها العامة، وأسقطت الثقة بأحداثها ورواياتها، فالقارئ المسلم عند مطالعته لكتاب «محمد في المدينة» يشعر إيمانياً - فضلا عن البحث والرجوع إلى مصادرها الأصلية - أنها ليست سيرة نبيه الكريم، والتي طالما عرفها وتشرب معانيها..

ثم إن [WATT] يرفق أدلته التشكيكية بعملية نفي كيفي تشمل مساحات واسعة من جزئيات وكليات السيرة النبوية، وعمليات النفي تلك طبعت بحوث بعض المستشرقين خاصة في مجال السيرة النبوية..

يقول «إميل درمنغم»(٢): «من المؤسف حقاً أن غالى بعض هؤلاء المتخصصين في النقد أحياناً فلم تزل كتبهم عامل هدم على الخصوص، ولا تزال النتائج التى انتهى إليها المستشرقون سلبية ناقصة، ولن تقوم سيرة على النفي»(٣).

---

١) جواد علي. تاريخ العرب في الإسلام، ٩/١، نقلا عن: عماد الدين الخليل: المستشرقون والسيرة، ضمن كتاب الإسلام والمستشرقون: ٢٥٧.

٢) إميل درمنغم: مستشرق فرنسي، مدير مكتبة الجزائر، من آثاره: قصص من فاس، وحياة محمد ﷺ، انظر العقيقي، المستشرقون: ٣٤٨.

٣) حياة محمد ﷺ، بتصرف يسير: ١٠، ترجمة: عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٨م.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، أورد بعض الأمثلة الدالة على تلك المنهجية المتمثلة في انتهاج النفي الكيفي والتشكيك اللامنهجي عند [WATT]:

١- يقول [WATT]: "وهذا شيء غير معقول، إذا كانت الرسائل [رسائل النبي ﷺ إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام] دعوة إلى الدخول في الإسلام، والاعتراف بمحمد كزعيم ديني لأنه لا يمكن تصور امبراطور الروم ونجاشي الحبشة يستجيبان لمثل هذه الدعوة"(١).. ثم ساق أقوالا ومزاعم لنفيه السابق، فيقول: "فليس من المستحيل أن يكون محتوى الرسائل قد تبدل نوعاًما وخلال النقل(٢)، ويقول: وربما وقع خلط في الأسماء والتواريخ"(٣).

ونفي تلك الرسائل أو حتى التشكيك فيها طعن في مصداقية ومنهجية [WATT] ذاته، وليس طعناً فيها، لأنها لا تقل عن أكبر الأدلة التاريخية وضوحاً(٤)، والتي ينبغي للباحث النزيه احترامها، خاصة وأن تلك الرسائل لم تنقل إلينا عن طريق كتب الحديث والسيرة فقط، وهو دليل كاف-بل توجد بعض تلك الرسائل محفوظة إلى اليوم في متاحف عالمية، عليها ختم النبي ﷺ(٥) ثم إن تلك الرسائل منسجمة تماماً مع

---

١) ص : ٦٢.

٢) ص : ٦٤

٣) ص ١٧١.

٤) سبق تخريج خبر إرسال النبي ﷺ الرسل لملوك الارض: ٢٨.

٥) انظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة: ١٠٢، ١٠٨، ١٣٧، ١٤١، نشر دار النفائس، ط٥، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

عالمية هذا الدين وطبيعته، المنصوص عليها في القرآن: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(١).

٢- يقول [WATT]: "وإنه لمن الادعاءات الخيالية القول بأن محمداً تنبأ بالتفصيل بتوسع العرب فيما بعد، ولا نجد في الحقيقة أي مصدر إسلامي قديم يدّعي مثل هذا الادعاء، وقد أشرنا في الفصول السابقة إلى أن بعض العوامل التي أدركها محمد أثرت في مسلكه"(٢).

يلجأ [WATT] إلى عملية النفي والتشكيك، هذه ليس لأن لديه دليل، وإنما لاصطدام موقفه العام من سياسة النبي ﷺ خارج الجزيرة بالحقيقة التاريخية السابقة، فهو يدعي أن عوامل اقتصادية واجتماعية أثرت في سياسة النبي ﷺ(٣) وفي اهتمامه بالمناطق خارج الجزيرة العربية، وأن هذه العوامل ظهرت بعد أن دانت الجزيرة للنبي ﷺ، ولكن عندما اصطدم موقفه ذلك بحوادث تاريخية ثابتة، تبين أن الله أطلع نبيه ﷺ على ملك أمته بعد موته، وذلك في غزوة الخندق(٤)، أخذ ينفي ويشكك تلك الروايات ويعتبرها ضرباً من الخيال.

أما حجته بأنه لا يوجد مصدر قديم يذكر فيه أن النبي ﷺ تنبأ بتوسع الدولة الإسلامية، فهي حجة واهية، تكذبها روايات المصادر

---

١) سورة سبأ: ٢٨.

٢) ص: ١٥٨.

٣) انظر: في هذا البحث، موقف [WATT] من غزوات النبي ﷺ ضد الروم.

٤) انظر: مغازي عروة بن الزبير: ١٨٥، ويقول الأعظمي: "وهي [مغازي عروة] بحق أقدم ما ألف في السيرة النبوية": ص ٧، وأخرج الخبر الإمام أحمد في مسنده ٣٠٣/٤، وحسنه ابن حجر، الفتح: ٣٩٧/٧.

القديمة نفسها، فقد روى ابن إسحاق عن عروة بن الزبير عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ عندما ضرب بمعوله الصخرة التي اعترضت الصحابة في حفر الخندق، ثلاث مرات، قال: «أما الأولى [أي الضربة الأولى] فإن الله فتح علي باب اليمن، وأما الثانية، فإن الله فتح علي باب الشام والمغرب، وأما الثالثة، فإن الله فتح علي باب المشرق»(١).

والأمثلة السابقة ليست للحصر كما أسلفت، فالمستشرق يستخدم تلك المنهجية السابقة - الشك اللامنهجي - بشكل واسع، ويشكك في كثير من روايات السيرة بدون دليل(٢).

❑❑❑

---

١) نفس الحاشية السابقة.

٢) انظر - مثلا - «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ٢١، ٨٠، ١٥٧، وغيرها.

المطلب الثاني

الاحتمـــــــال

يقول المستشرق «لانسون» في كتابه «منهج البحث في الأدب واللغة» «إن عيبنا المألوف هو رفع ما تنتهي إليه دراساتنا من حقائق ناقصة درجات في مراتب اليقين، بل رفعها أحياناً إلى مستوى اليقين المطلق، وهكذا تصبح الممكنات احتمالات، والاحتمالات ترجيحات، والترجيحات وقائع واضحة، والفروض حقائق ثابتة، ويمتزج الاستنباط والاستقراء بالوقائع التي صدر عنها، فإذا بها في قوة الملاحظات المباشرة»(١).

وما ذكر «لانسون» متمثل بشكل واضح وواسع في دراسة [WATT] لسيرة النبي ﷺ عامة، وللغزوات النبوية خاصة، فهو كثيراً ما يصدّر أقواله باحتمالات لا دليل عليها، وباحتمالات الدليل قائم على ضدها، ثم يرتقي ببعض احتمالاته إلى درجة اليقين، مستنبطاً منها أحكاماً عامة على سيرة النبي ﷺ.

ولا شك في أن نتائج البحث العلمي ينبغي أن تبنى على أسس قوية، يدعمها الدليل النقلي أو العقلي السليم، وإن خالفت ذلك أصبحت نتائج مخطئة مبنية على مقدمات ضعيفة، وما بني على باطل فهو باطل..

فعلى سبيل المثال لا الحصر، انتهج [WATT] تلك المنهجية في مواطن

١) صديق بشير نصر، ملاحظات وتعليقات على الفصل الثاني من كتاب: دراسات محمدية، ضمن كتاب: من قضايا الفكر الإسلامي كما يراها بعض المستشرقين: ٣٢١، نشر كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس.

من كتابه مثل:

١- فعل أبي لبابة رضي الله عنه في غزوة بني قريظة»(١): بعد أن حاصر النبي ﷺ بني قريظة بعثوا أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا حلفاء الأوس، فبعثه النبي ﷺ فلما رأى حالهم رق لهم، ولما استشاروه أشار إليهم بيده إلى حلقه، أي إنه الذبح، فقال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، فخرج وربط نفسه إلى عمود في المسجد، وقال: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله علي مما صنعت، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة أبداً، ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً، فتاب الله عليه، وفك النبي ﷺ وثاقه.

موقف [WATT] :

أخذ [WATT] يسوق الاحتمالات لتفسير فعل أبي لبابة بعد أن استبعد في ذهنه الأسباب الحقيقية الكامنة وراء القصة، فمن ذلك قوله: «ويجب أن نبحث عن تفسير ذلك في تطمين أبي لبابة لقريظة، بأنه سيبقى وفياً للمحالفة التي عقدتها قبيلته مع بني قريظة»(٢).

ثم ارتقى [WATT] باحتماله السابق إلى درجة الحكم على القصة عامة وعلى الصحابي خاصة، فيقول: «ولا شيء يجعلنا نعتقد بأن أبا لبابة لم يكن عضواً مخلصاً للأمة الإسلامية، ولم يفكر في الانفصال عنها، ولكنه

---

١) انظر: مسند الإمام أحمد ١٤١/٦، وانظر أيضاً مغازي عروة بن الزبير: ١٨٧.

٢) ص : ٢٨٧.

لم يكن على اتفاق مع النبي ﷺ، حول بعض المسائل السياسية»(١).

ثم يرتقي بذلك الحكم الخاص إلى التعميم بقوله: «هذا الموقف هو طابع المعارضة التي لقيها محمد خلال السنوات الأخيرة من حياته، فقد كان المعارضون يقبلون بالأمة الإسلامية، ولكنهم لا يوافقون على بعض الجوانب في سياسة محمد»(٢).

يتضح من المثال السابق منهجية [WATT] في بناء النتائج والأحكام العامة على احتمالات وتكهنات لا دليل عليها، بل الدليل قائم على بطلانها، فلو كان تفسير [WATT] أن أبا لبابة لم يكن على اتفاق مع النبي ﷺ صحيحاً فما الباعث لندم أبي لبابة وخروجه وربط نفسه إلى عمود من أعمدة المسجد، ومعاهدته الله أن لا يطأ ديار بني قريظة أبداً، واعترافه بأنه قد خان الله ورسوله؟!! ثم عبثاً نرد على أحكام وتعميمات بنيت على افتراضات وتكهنات لا يسندها دليل.

٢- ومثال آخر هو موقف [WATT] من انسحاب عبدالله بن أبي في غزوة أحد.. يقول [WATT]: «ويمكن القول بأنه انسحب بالاتفاق مع محمد للدفاع عن المكان الرئيس ضد هجوم من العدو منتظر»(٣)، ثم يرتقي بذلك الاحتمال على أنه مسلمة تاريخية، وأن النبي ﷺ قد اتفق فعلا مع ابن أبي للدفاع عن المدينة، فيقول في تحليله انتصار

---

١) ص: ٢٨٧.

٢) ص: ٢٨٧.

٣) ص: ٣٤.

المشركين في أحد. وهذا يعني أن المكيين لم يكونوا يستطيعون فعل غير ما فعلوا، ولم يكن لهم أي أمل في مهاجمة محمد بنجاح أو المراكز الرئيسية التي يقوم عليها بناء المدينة الرئيسي، وكان بإمكانهم التغلب على ابن أبي بالدبلوماسية، ولم يريدوا إذن مهاجمته"(١).

وهذا المثال كسابقه، تكهن وافتراض بنى عليه [WATT] نتائج لا تسندها الأدلة التاريخية، ولا التفكير المنطقي السليم، فسيرة المنافقين في المدينة إبان العهد النبوي تشهد بأن النبي ﷺ لم يتفق مع المنافقين في أبسط الأمور فضلا عن الدفاع عن المدينة النبوية!!.

❑❑❑

❑❑

❑

---

١) ص: ٤٣.

المبحث الثاني

التفسير المادي للأحداث

- تمهيد: نشأة الفكر المادي في الغرب.
- المطلب الأول: [WATT] والمنهج المادي.
- المطلب الثاني: من مظاهر التفسير المادي للغزوات عند [WATT].

❑❑❑

❑❑

❑

تمهيد

نشأة الفكر المادي في الغرب

كان لطغيان الكنيسة السياسي والمالي والثقافي في أوروبا - بداية من القرن الخامس الميلادي تقريباً - أثره في ظهور موجة معادية للدين الممثل في الكنيسة نفسها، فقد كان الإنسان الغربي يتعرض لضغوط مالية (كالعشور والضرائب وغيرها)، ولضغوط سياسية هدفها تحقيق المصالح الشخصية لرجال الكنيسة، وليس توطيد مملكة الرب في الأرض - كما زعموا - فادعوا أن لهم سلطة زمنية على أرواح وعقول وأجساد البشر.. وكان للكنيسة طغيان روحي على نفوس النصارى آنذاك، وأصبح القسيس أو رجل الدين - عندهم - الواسطة بين الله وخلقه، وما مهازل الاعتراف للكاهن و «صكوك الغفران» وغيرها إلا شاهد على ذلك الطغيان الكنسي الروحي.

ولم تلبث أوروبا أن سئمت ذلك الوضع الكنسي الظالم، وبدأت حركات ومذاهب تدعو للتحرر من نير الكنيسة وظلمها، بداية بحركة الإصلاح الديني «لمارتن لوثر» و «كالفن» ونهاية «بالثورة الفرنسية» عام ١٧٨٩م، والتي كان شعارها «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس»،

وانتهى بذلك سطان الكنيسة في أوروبا(١).

وبعد سقوط السلطان الكنسي شاع في أوروبا اتجاهات ومذاهب فكرية تصب في قالب واحد وهو إقصاء الدين عن التفكير العقلي والحياة، فمن تلك الاتجاهات «الاتجاه العقلي» أو القول بسيادة العقل في عصر ما يسمى بالتنوير حيث اعتبر العقل مصدراً وحيداً للمعرفة كافياً لحل أسرار الكون، ولكن لم يقف هذا الاتجاه موقفاً محموداً أمام قضايا الايمان والدين، والسبب في ذلك كله فشل الكنيسة في عرض الدين كما أنزله الله.

ثم أعقب ذلك الاتجاه الفكري اتجاه آخر في القرن التاسع عشر، مهّد لظهور المنهج المادي في أوروبا، وهو الاتجاه الوضعي المادي، الذي ينسب إلى الفيلسوف الفرنسي «أوجيست كونت» الذي حلل تاريخ المعرفة البشرية إلى ثلاث مراحل:

١- المرحلة الأولى، كان مصدر المعرفة فيها الدين.

٢- المرحلة الثانية، كان مصدر المعرفة فيها العقل أو الفلسفة.

٣- المرحلة الثالثة، الواقعية، أو الوضعية المادية، وفيها أن مصدر المعرفة هو الواقع، وليس العقل والدين(٢).

ويتضح مما سبق أن أوروبا لم تعرف الدين الصحيح قط وإنما

---

١) انظر: أحمد العوايشة، موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، ٩٣، نشر دار مكة، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

٢) انظر: عبدالعظيم المطعني، الاسلام في مواجهة الايدلوجيات المعاصرة: ٧٨، نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

عرفته مشوهاً ومتمثلا في الكنيسة.

يقول محمد قطب: «وأوروبا حين نزعت عنها سلطان الكنيسة لم تكتف بذلك بل نزعت سلطان الدين أيضاً، إذ كان الدين لديها ممثلا في الكنيسة مجسماً فيها... وارتدت بذلك رومانية كاملة، لا يقف شيء في سبيل نزعتها الرومانية، التي لا تعرف غير الجسد ونزواته، ولا تؤمن إلا بالواقع المادي الذي تثبته الحواس، ونشأت على أنقاض الكنيسة والدين فلسفة مادية بحتة، تستمد وحيها من الأرض ومن واقع الحواس، ولا ترتفع ببصرها لحظة واحدة إلى السماء»(١).

ثم تطورت المراحل السابقة لنشوء المادية في الغرب، وتعمق الفكر المادي وانتقل من اتجاه فكري فقط إلى قوة تفرض ذلك الاتجاه بالقهر، وهذه القوة هي الشيوعية، فكان للمدرسة الشيوعية دور في تعميق الفكر المادي في الغرب، عن طريق نظرية ماركس «التفسير المادي للتاريخ» والتي هي «جزء لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية الشيوعية، وتبحث في دراسة التشكيلات الاجتماعية في التاريخ البشري»(٢).

وتعتبر المدرسة الشيوعية المادة سابقة في الوجود على الفكر، أي خالقة للعقل والدين والفلسفة، والمحرك الأساس للأفراد

---

١) الانسان بين المادية والإسلام: ١٦، دار الشروق، ط٩، ١٤٠٨هـ.

٢) أحمد العوايشة. موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ: ١٠٩.

والجماعات، وأن العلاقات المتبادلة بين الأفراد قائمة على أساس مادي بحت.

يقول ماركس[1]: «هكذا فإنه من الجلي تماماً منذ البداية أن ثمة رابطة مادية تجمع بين البشر بعضهم بعضاً، وهي قديمة قدم البشر أنفسهم، وبذلك تمثل تاريخاً حتى قبل أن يوجد أي هراء سياسي أو ديني».

---

١) انظر: عبدالعظيم المطعني، الاسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة: ٣٠١.

المطلب الأول

[WATT] والمنهج المادي

تكلم [WATT] عن ملامح منهجه في بداية كتابه «محمد في مكة»(١). وتمثل هذا المنهج على حد زعمه في تحديد العوامل المادية الكامنة وراء سيرة النبي ﷺ، مع عدم إهمال الجانب الديني المؤثر فيها، وزعم أن ذلك هو منهج «مؤرخي منتصف القرن العشرين (المستشرقين) الذين يهتمون أكثر بتحديد أثر كثير من المسائل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية دون أن يهملوا الجانب الديني أو يقللوا من شأنه»(٢). وأخذ يكرر في مواطن من كتبه عدم ماديته وأنه على حد قوله: «مؤمن موحد صريح»(٣).

وقبل أن أشرع في مناقشة الادعاء السابق ومدى صحته، أريد أن أقرر حقيقة مفادها أن العوامل المادية في الإسلام من حيث هو دين - سواء اقتصادية كانت أو سياسية، أو اجتماعية، أو غيرها، خاضعة للدين، وجزء منه لا ينفصم عنه، وهو منظم لها، ومقنن لحدودها.

فمن أمثلة خضوع السياسة للدين في الإسلام قوله تعالى: ﴿ومن لم

---

١) وهذا المنهج شامل لكتابيه «محمد في مكة» و «محمد في المدينة» فالكتاب الثاني تكملة للكتاب الأول، كما أشار إلى ذلك [WATT] في مقدمة كتابه Sequel to Muhammad at Medina.

٢) محمد في مكة ﷺ : ٦.

٣) المصدر السابق: ٥، وانظر أيضاً، محمد في المدينة : ٧٦، وانظر: حسين أحمد أمين، تأملات في تطور كتابة سيرة النبي ﷺ في الشرق والغرب: ١١٣.

يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾(١)، ومن أمثلة تنظيم الإسلام للأمور الاقتصادية وتقنين حدودها ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾(٢)، ومن أمثلة تحديد الإسلام للعلاقات الاجتماعية بين الناس قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٣).

فالإسلام لم يشهد في طبيعته ذلك الانفصال بين المادة والعقل من جهة، وبين الدين من جهة أخرى، "ولكن طبقاً للمسيحية التي يعتنقها عديد من المستشرقين، يمكن تقسيم الظاهرة إلى عوامل دينية وأخرى غير دينية، لأن الدين لا ينظم إلا جانباً خاصاً من جوانب الحياة، وهو الجانب الروحي، وما سوى ذلك فهو الجانب المادي، لا شأن للدين به"(٤).

فيتضح مما سبق أن تحليل أحداث السيرة وتقنينها وتصنيفها إلى عوامل مادية وعوامل اجتماعية، يخالف طبيعة الإسلام عامة، والسيرة النبوية خاصة، ويفضي إلى نتائج مخطئة..

أما بشأن ادعاء [WATT] عدم ماديته، فإن واقع كتبه وبحوثه يثبت عكس ذلك الادعاء، فالمستشرق [WATT] يعزو ظهور الإسلام لأسباب مادية اقتصادية محضة، وهو بذلك يقترب من المدرسة الشيوعية الماركسية، وخاصة في التماسها للجوهر الطبقي في الإسلام..

---

١) سورة المائدة: آية ٤٤.

٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٥.

٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٤) حسن حنفي: التراث والتجديد: ٧٤، دار التنوير، ط١، ١٩٨١م.

يقول [WATT]:"وأهم فكرة نستخرجها من هذا العرض هو أن الإسلام الفتي كان في الأساس حركة شباب.. ولم يكن الإسلام من جهة ثانية، حركة رجال من طبقة مستضعفة.. ولم يستمد الإسلام قوته من رجال الدرجة السفلى من السلم الاجتماعي، بل من أولئك الذين كانوا في الوسط، وأدركوا الفرق بينهم وبين أصحاب الامتيازات، في الذروة، فأخذوا يقنعون أنفسهم بأنهم أقل امتيازاً منهم، فنشأ صراع ليس بين الملاكين والمعوزين، بل بين الملاكين والذين هم أقل منهم»(١).

ولنا أن نقارن هذا الادعاء بتفسير ظهور الإسلام عند المستشرق الروسي «الكسندرو فيتش بليايف»(٢) والذي يعتبر «مؤسس علم الاستشراق السوفييتي الجديد، المزود بمنهجية البحث الماركسية اللينينية»(٣).

ويقوم تفسير"بليايف"على أن الإسلام نشأ في أوساط البرجوازية التجارية الصغيرة والمتوسطة، التي كانت تعتمد في نشاطها على طبقة

---

١) «محمد في المدينة» صلى الله عليه وسلم: ١٦٠، وانظر: Islam and the Integration of society:7.

٢) ولد في عام ١٨٩٥م بمدينة رجيف، ودرس بمعهد موسكو للاستشراق، ثم تخرج منه عام ١٩١٣م، ومن مؤلفاته: دور رأس المال التجاري المكي في تاريخ نشأة الإسلام، انظر: ر. غ. لاندا، مقال: بليايف، مستعرباً إسلامياً ومؤرخاً للشرق، ترجمة محمد هلالي وعلي مهدي، ضمن كتاب الإسلام في تاريخ شعوب الشرق، ١٢٩، نشر دار الفارابي ١٩٨٦م.

٣) المصدر السابق: ١٢٩.

التجار الأرستقراطيين، وكان هؤلاء يتعاطون الربا(١)، أي نشأ صراع طبقي من الارستقراطيين والأغنياء، والذين دونهم لاعتماد الطبقة الثانية على الأولى تجارياً واستخدام الأولى للربا.

يتضح من العرض السابق التقاء الموقف المادي عند [WATT] مع الموقف المادي للمدرسة الشيوعية في تفسير ظهور الإسلام، وكلا الموقفين زعم وادعاء باطلان، وذلك للحقائق التالية:

١- لم ينتشر الإسلام في طبقة واحدة فقط بل في جميع الطبقات الاجتماعية، فعثمان بن عفان ومصعب بن عمير رضي الله عنهما(٢) كانا من أغنياء مكة، وأشرفهما نسباً، ومكانة اجتماعية، كما أن بلالا وصهيباً وغيرهما كانوا من فقراء الصحابة رضوان الله عليهم.

٢- ومآخاة النبي ﷺ تتنافى وما يمكن تسميته بالجوهر الطبقي للإسلام، فمن العبث البحث عن طبقات متباينة في المجتمع الإسلامي، أو حتى في تعاليم الإسلام نفسه، ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٣).

٣- وكما أن الإسلام انتشر بين كل الطبقات الاجتماعية في مكة والمدينة، فقد رفضه أشخاص من بين كل الطبقات الاجتماعية كذلك.

---

١) سعد مصلوح، حول التفسيرات الماركسية لظهور الإسلام، مجلة المسلم المعاصر: ٥٧، العدد السابع، رجب ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

٢) انظر: طبقات ابن سعد: ١١٦/٢، ١٢٤/٢.

٣) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

وعلاوة على ما ذكر سابقاً، فإن الإسلام دين الله عز وجل، أرسل به نبيه الكريم ﷺ للناس كافة، ومن دخل فيه من الصحابة دخل عن اقتناع وإيمان مجرد عن الدوافع المادية، وسيرتهم رضوان الله عليهم دالة على ذلك، فمنهم من قدم ماله وجميع ما يملك فداء لهذا الدين.

ثم إن تلك التفسيرات المادية الماركسية لظهور الإسلام هي تبني حكماً سابقاً، ومحاولة قسر ولي أعناق الأدلة التاريخية وطبيعة الإسلام لتتفق مع ذلك الحكم السابق، وهذا يتنافى مع الموضوعية العلمية المتمثلة في التجرد عن الأحكام السابقة عند دراسة موضوع ما.

المطلب الثاني

من مظاهر التفسير المادي للغزوات عند [WATT] .

أهمل [WATT] كثيراً العامل الديني في دراسته للغزوات، وأخذ يبحث - عبثاً - عن عوامل مادية لهذا الدور الرئيس،على حد زعمه، في تشكيل أحداث الغزوات، وأن تلك العوامل على حد قوله: «تقدم جواباً على العديد من الأسئلة التي قلما أثيرت في الماضي»(١).

ومن مظاهر التفسير المادي للغزوات عند [WATT] .

١- تجاهل الجوانب الغيبية والإيمانية في الغزوات:

لا يمكن تفسير أحداث الغزوات بعيداً عن الجوانب الغيبية الإيمانية لأنها المحرك الأساس والدافع الرئيس لتلك الغزوات، ومتى تجاهل الدارس أو الباحث هذه الجوانب المهمة، صعب عليه تفسير وتصور طبيعة الجهاد الإسلامي، وتخبط في إنشاء أهداف وبواعث مادية لا وجود لها.

وغزوات النبي ﷺ اشتملت على أحداث لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء المعطيات الإيمانية الغيبية، وفسرها في قوالب مادية يخالف طبيعتها وواقعها.. فمن أمثلة تلك الأحداث:

○ تسابق الصحابة رضوان الله عليهم إلى الموت في سبيل الله:

فهذا عمير بن الحمام رضي الله عنه عندما سمع النبي ﷺ في بدر يقول: «لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر، إلا

١) "محمد في مكة" صلى الله عليه وسلم: ٧.

أدخله الله الجنة، فقال عمير بن الحمام، أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهن، بخ بخ، أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟! ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل(١).

وهذا عمرو بن الجموح رضي الله عنه كان فيه عرج شديد فأراد الخروج مع النبي ﷺ يوم أحد، فمنعه أولاده فقال للنبي ﷺ: «إن بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه، الخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه الجنة، فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله، فلا جهاد عليك، وقال لبنيه: ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة، فخرج معه فقتل يوم أحد»(٢).

فمثل هذه الحوادث وغيرها كثير، لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء الإيمان الخالص لله عز وجل، والرغبة في الدار الآخرة، والتجرد من شهوات الدنيا ورغباتها، وإلا فأي مغنم مادي دنيوي في الحرص على الشهادة والموت في سبيل الله؟!!

و [WATT] أغفل كثيراً هذا الجانب المهم (الجانب الغيبي الايماني) والدافع الأساس في غزوات النبي ﷺ، فمن ذلك:

١- تفسيره هزيمة المسلمين في غزوة أحد:

فقد أجهد نفسه في البحث عن أسباب مادية لهذه الهزيمة، وزعم أن تلك الأسباب أسس ينبغي أن تغير على ضوئها "الرواية الرسمية

---

١) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/٣٢٢، وأخرج خبر عمير بن الحمام الإمام مسلم في صحيحه، ٣٣، كتاب الإمارة، ٤١ باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/١٥٠٩.

٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٥/٢٩٩.

الإسلامية"(١)..

وقد ناقشت في الفصل الأول(٢) أسبابه تلك، وبيَّنت أنها لا تنسجم مع واقع الغزوة نفسها، وأن ما ذكره القرآن من تحليل سبب الهزيمة هو الذي ينسجم مع أحداث ووقائع الغزوة، فضلا عن اعتقادنا الجازم وتسليمنا بما ذكره القرآن، ولكن [WATT] أراد فصل أحداث الغزوة عن أسبابها الإيمانية الغيبية.

٢- حصار الطائف:

لما فرغ النبي ﷺ من غزوة حنين واندحر الفريقان الهوازني والثقفي، وتحصنت ثقيف في حصن الطائف، فخرج النبي ﷺ إليهم وحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة، ولم تفتح له، فقال المسلمون:"يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم، فقال: اللهم اهد ثقيفاً"(٣).. ثم قال النبي ﷺ لعمر عندما طلب منه الدعاء على ثقيف: لم يؤذن لنا في قتالهم، قال عمر: أفلا آمر الناس فلا يسرحوا ظهرهم حتى يرتحلوا بالغداة؟ قال: بلى، فانطلق عمر حتى أذن في الناس بالقفول(٤)، ثم أسلمت بعد ذلك ثقيف وهوازن ورد النبي ﷺ إليهم سبيهم.

يقول [WATT] "كما أن طول الحصار يذهب كثيراً من الشهرة التي كسبها [يقصد النبي ﷺ] في حنين، يضاف إلى ذلك أنه كان عليه أن

---

١) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٣٨.

٢) انظر : ٥٠.

٣) انظر ابن كثير. السيرة النبوية ١٧١/٤، وانظر أيضاً ابن كثير . البداية والنهاية:٣٤٤/٢٠.

٤) ابن كثير. البداية والنهاية ٣٤٩/٢.

يهتم بهوازن وبالغنيمة التي كسبها في حنين، وهكذا لم يخسر شيئاً بتركه حصار ثقيف"(١).

تجاهل [WATT] تماماً السبب الحقيقي لترك النبي ﷺ حصار الطائف، وهو أن الله لم يأذن لنبيه بفتحها، وأخذ ينشيء أسباباً مادية لا تعدو أن تكون احتمالات وتخرصات تتعارض مع الواقع التاريخي للغزوة، فمن تلك الإدعاءات الباطلة:

زعمه أن النبي ﷺ ترك حصار الطائف لأن طول الحصار يذهب الشهرة التي كسبها النبي ﷺ على حد زعمه في حنين، وهو زعم يدحضه أهداف وغايات جهاد النبي ﷺ العطرة، فالنبي ﷺ امتثل لأمر ربه بترك حصار الطائف لحكمة سبقت في علم الله تعالى، أنهم سوف يسلمون، فلو أطال النبي ﷺ الحصار عليهم أو فتح عليهم حصنهم لقتل منهم خلق كثير قبل أن يسلموا، ورغبة النبي ﷺ في إسلامهم سبب رئيس لترك حصارهم(٢).

وزعم [WATT] أن هدف النبي ﷺ كان المحافظة على الغنائم التي حصل عليها في غزوة حنين، يكذبه واقع الغزوة نفسها، فقد رد النبي ﷺ السبي على ثقيف وهوازن، بعد أن خيرهم بين السبي وبقية الغنائم(٣)..

---

١) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ١٥٩.

٢) أشار إلى هذه الحكمة الإلهية ابن كثير. انظر البداية والنهاية: ٣٥١/٢.

٣) انظر: صحيح البخاري - نسخة الفتح، ٣٢/٨.

التفسير القومي للغزوات:

لا يعترف كثير من المستشرقين(١) بالأساس الإسلامي للفتوحات الإسلامية عامة، والغزوات خاصة، ويتجنبون عن قصد استخدام كلمة «إسلام» أو«إسلامية»، في الحديث عن تاريخ هذه الفترة، ويصر على استخدام كلمة «عربي» للتأكيد على عروبة الغزوات وهويتها، والهروب الاستشراقي من استخدام مصطلح إسلام وإسلامية، هدفه إبعاد الدافع الديني عن أي تفسير للفتوحات الإسلامية، وتعليل هذه الفتوحات بأسباب مادية دنيوية بحتة.

ومن المستشرقين(٢) من فسر الفتوحات الإسلامية في ضوء التاريخ العام للبشرية، فاعتبر الفتح الإسلامي نوعاً من أنواع التوسع الاستعماري وظهور قوة سياسية في شبه الجزيرة العربية، مكنتها من فرض السيادة العربية على تلك المنطقة، ويعتبرون الامبراطورية العربية واحدة من الامبراطوريات أو الدول القوية القديمة التي ظهرت في الشرق الأدنى القديم، وأخضعته لسيادتها.

لا يختلف [WATT] كثيراً عن المنهج الاستشراقي العام حول

---

١) انظر: كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية: ٢٢-٢٦، ترجمة بدر الدين القاسم، نشر دار الحقيقة، بيروت، ط١، ١٩٧٣م. وانظر أيضاً: يوليوس فلهوزن: تاريخ الدولة العربية، ٢٢٤، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، نشر لجنة التاليف والترجمة في جامعة القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م، وانظر أيضاً: فيليب حتي، صانعوا التاريخ العربي: ٦٣، ترجمة محمد زايد، دار الثقافة.

٢) انظر: Bernard Lewis The ARABS IN HISTORY. 23, Harper and Row, publishers. 1967.

التفسير القومي لغزوات النبي ﷺ، فهو ينطلق من خلفية سابقة لها الأثر في تصوره المخطيء لطبيعة الغزوات، وتتمثل هذه الخلفية في تصوره لقومية الإسلام، وأنه دين العرب، وأن النبي ﷺ بعث للعرب وحدهم..

يقول [WATT]: "ويتفق هذا المشروع مع الفكرة العامة القائلة بأن كل نبي يرسل إلى أمة فيكون محمد قد أرسل للعرب"(١).

ويقول: "غير أن قول بعض المصادر الإسلامية وهي ليست أقدم المصادر، أنه [يقصد النبي ﷺ] نظر إلى الإسلام على أنه دين شامل، وأنه دعا الامبراطور البيزنطي والفارسي وغيرهما من الملوك إلى الدخول فيه قول خاطيء"(٢)..

ومن الطبيعي أن يتأثر تصور [WATT] للغزوات الإسلامية بتلك الخلفية المشوهة القاصرة.. يقول [WATT]: "إن يفكر محمد بنظرية أساساً لحركة الفتح العربي الكبير، دليل اتساع إدراكه لحاجات عصره" .(٣).

ويقول: "ولهذا كانت الغزوات الموجهة نحو شمال البلاد ضرورية لخلق دولة عربية دائمة"(٤)، وحاول أن يستبعد في تصوره أن الدافع الديني في غزوات النبي ﷺ نحو الشمال، وفسر أهدافها وبواعثها

---

١) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٣٠٧.

٢) المصدر السابق: ٦١.

٣) "محمد في مكة" صلى الله عليه وسلم: ٢٤١.

٤) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٢٨٨.

تفسيراً مادياً قومياً.

يقول [WATT] «تدل ضخامة غزوة مؤتة وأهميتها على أن هدف محمد نحو سنة ٦٢٩م كان توحيد العرب تحت سلطته والتوسع بهم نحو الشمال»(١).

الردود والمناقشات:

تجاهل [WATT] في تصوره السابق طبيعة الإسلام عامة، والجهاد خاصة، وادعى أن الإسلام دين خاص بالعرب، واستدل بعدم ذكر المصادر القديمة في رأيه لشمولية الإسلام، وهو استدلال أوهى من تصوره السابق، وتكذبه نصوص القرآن الكريم، وهو أول وأقدم المصادر الإسلامية.. يقول الله عز وجل مخاطباً نبيه: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾(٢)، وغيرها من الآيات كثير في هذا المعنى.

وتجاهل [WATT] أن الرابطة الإيمانية تربط المؤمنين من كل جنس وعرق ولون، يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(٣)، هذا فضلاً عن محاربة الإسلام لتلك القوميات،واعتبرها شكلا من أشكال الجاهلية الأولى..

---

١) المصدر السابق: ٩٧.

٢) سورة سبأ: ٢٨.

٣) سورة الحجرات: ١٣.

يقول الرسول ﷺ: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»(١).. والصحابة رضوان الله عليهم أدركوا عالمية الإسلام وشموليته، فانتشروا في المعمورة يبشرون بدين الله عز وجل، ودخل الناس في الإسلام من كل جنس ولون عن رغبة وإيمان.

واكتسبت وسائل تبليغ الإسلام خاصية العالمية من الإسلام نفسه، فكانت غاية الجهاد الإسلامي-كأحد الوسائل-هي نشر دين الله في الأرض، وإزالة العقبات من طريق وصوله إلى الناس، فهو تشريع ضد أي قوم أو ملة أو جنس عندما تتحقق دواعيه وتنتفي موانعه، يقول الله تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾(٢).. ويقول الرسول ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله...»(٣).

ثم إن واقع الجهاد الإسلامي يثبت عالميته وغايته، ويثبت عالمية الإسلام نفسه كذلك، فكانت الدعوة إلى الإسلام أول الشروط، وإذا استجاب لها الطرف المحارب أصبح من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، ولم تكن هناك دعوة إلى قومية أو حزبية في تلك الغزوات.

---

١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٤١١/٥.

٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.

٣) سبق تخريجه، انظر: ص ٢٨.

ومن الأدلة على عالمية الجهاد الإسلامي، وأنه يشرع ضد أي أمة من الأمم عند معارضتها لمنهج الله في الأرض، رسائل النبي ﷺ إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، فهي دعوة تضمنت عرض الإسلام ولم تتضمن أي مطالب حزبية أو قومية.

وكان واقع الغزوات يشهد بأنها حركة إسلامية لتحرير الشعوب من العبودية لغير الله، فقد شارك في غزوات النبي ﷺ من غير العرب، ورد النبي ﷺ العربي الذي أراد المشاركة معه في غزوة بدر لأنه لم يكن مسلماً، فقال: "فارجع فلن أستعين بمشرك"(١).. مما يدل دلالة واضحة على أن الدافع في حصول غزوات النبي ﷺ هو دافع الدين فقط، ثم إن الواقع التاريخي يثبت أن اعتناق العرب للإسلام جعل منهم قوة سياسية وفكرية، برزت على مسرح الأحداث، وقلبت موازين القوى بعد أن كانت قوة تابعة لغيرها، سياسياً، وعسكرياً..

يقول "رودي بارت"(٢): "ولكن العالم الواسع المترامي الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه، ٣٢، كتاب الجهاد والسير، ٥١ باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر: ١٤٤٩/٣.

٢) رودي باريت Rudi Paret ١٩٠٠-١٩٨٢م، مستشرق ألماني متخصص في القرآن خاصة واللغات السامية والعربية، شارك في الحرب العالمية مع دولته، من مؤلفاته: محمد والقرآن، ١٩٥٧م، ترجمة للقرآن إلى الألمانية، ١٩٦٦م، انظر: سلسلة كتب الثقافة المقارنة والاستشراق: ١١٣، العدد الثالث ١٩٨٩م، نشر دار الشؤون الثقافية العامة.

عوامل القوة السياسية"(١).

فيتضح من تلك الأدلة وغيرها كثير، أن العامل الديني هو المحرك الأساس والسر وراء نجاح الغزوات النبوية خاصة، والفتوحات الإسلامية عامة، وأن التفسير القومي يتنافى مع طبيعة الإسلام وطبيعة الجهاد وواقعه، والواقع التاريخي العام.

❑❑❑
❑❑
❑

١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ٢٠، ترجمة مصطفى ماهر، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة.

المبحث الثالث

منهج المستشرق [WATT] في الأخذ بالروايات

- تمهيد: السنة النبوية ومنهج المحدثين.
- المطلب الأول: موقف [WATT] من الحديث النبوي.
- المطلب الثاني: منهج [WATT] في المصادر والروايات.

❑❑❑

التمهيد

السنة النبوية ومنهج المحدثين

من مصادر التشريع الإسلامي السنة النبوية، فالنبي ﷺ مبلغ عن ربه، لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وكلامه حجة على الناس أجمعين، وطاعته طاعة لله رب العالمين، ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾(١)، ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾(٢).

وامتثل الصحابة رضوان الله عليهم أمر ربهم، فتلقوا السنة عن النبي ﷺ وحفظوها ودونوها وعملوا بها..

وكان اهتمامهم بها يعود لأسباب كثيرة منها:

١- أهمية الحديث النبوي، "فقد ارتبطت به سعادتهم في الدنيا والآخرة إذ عليه يُبنى الدين، فأصبحوا يتلقونه ويروونه على أنه من الدين، فكان سماعهم للحديث وإسماعهم له ديناً يتقربون به إلى الله تعالى"(٣).

٢- حث النبي ﷺ على تبليغ حديثه ونشره بين الناس، يقول النبي ﷺ: "نضّر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه، فرب مبلغ أحفظ له

---

١) سورة النساء: آية ٨٠.

٢) سورة الحشر، الآية: ٥٩.

٣) انظر: عبدالله بن ضيف الله الرحيلي. نظرة في حجج الطاعنين في عدالة الصحابة: ٤، مذكرة بخط اليد، ١٤١٠هـ.

من سامع»(١).

وهيأ الله لسنة نبيه ﷺ من يحفظها من انتحال المبطلين، وغلو الغالين، تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٢)، فقيض الله عز وجل لها من وسائل الحفظ الكثيرة، كالحفظ في الصدور، والسطور، على يد رجال أوقفوا أعمارهم على دراسة سنة النبي ﷺ وتدوينها وحفظها، فارتحلوا في طلبها وسهروا في مذاكرتها، حتى كانت شغلهم الشاغل، وهمهم الذي لا ينقطع إلا بموت أحدهم، ليكمل غيره مسيرة الاهتمام بحديث النبي ﷺ.

وكان من مجالات اهتمامهم بالسنة حفظها من شوائب الكذب على النبي ﷺ، وذلك بوضع منهج صارم يقي السنة النبوية من موجات التحريف والتبديل، وهذا المنهج اُستمدت أصوله من الكتاب والسنة.

- فكانوا لا يأخذون الحديث إلا من يد نظيفة تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا..﴾(٣).
- وكانوا يتورعون من نسبة حديث إلى النبي ﷺ خوفاً مما حذر النبي ﷺ منه أمته بقوله: «من كذب علي متعمـــداً فليتبوأ مقعده من النار»(٤).

---

١) أخرجه الامام أحمد في مسنده: ٤٣٧/١، وانظر ابن ماجة، السنن: ٨٤/١، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر دار الريان.

٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

٣) سورة الحجرات، الآية: ٦.

٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، (نسخة الفتح)، كتاب العلم، ٣٨ باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٠٠/١.

ونتيجة لأهمية السنة النبوية، واهتمام المحدثين بها وحفظ الله لها أولا وأخيراً تبلور منهج المحدثين في نقد الروايات ومن ملامح هذا المنهج:

١- البحث في الرواة.

٢- البحث في المتن من الناحية العقلية إن اقتضى الأمر ذلك.

أما بحثهم عن الرواة فيتركز في زاويتين هامتين هما:

أ- شخصية حامل الحديث ومستواه الخلقي وهو ما يسمى في اصطلاح المحدثين بالعدالة.

ب - وما روى من العلم ومدى دقته في نقله وهو ما يسمى في اصطلاح المحدثين بالضبط والاتقان(١).

وأما بحثهم في المتن، فقد وضعوا قواعد لنقده منها:

- مخالفة الحديث للقرآن الكريم.
- مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة.
- تكذيب الحس له(٢).

مع التنبيه إلى أن نقدهم للحديث يكون قبل ثبوته، أما إذا ثبت الحديث فالمقام مقام تسليم وإيمان، وتصحيحهم للسند لا يعني صحة المتن، وعبروا عن ذلك بقولهم: «صحة الإسناد تستلزم صحة المتن»(٣).

---

١) محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين: ٢٠، مكتبة الكوثر، ط٣، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٢) انظر: ابن القيم الجوزية، المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ٣٧ وما بعدها، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٣) الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين: ٢١.

o ومن ملامح منهجهم في نقد الروايات معارضة الروايات ببعضها حيث يتم جمع روايات الحديث الواحد، ومن ثم مقارنتها ومعارضتها، فنشأ عن ذلك علوم عدة كالشاذ «المخالفة الثقة في الرواية لمن هو أوثق منه»(١)، والمعلل، أي ما فيه «سبب غامض خفي، قادح في الحديث، مع أن الظاهر السلامة منه»(٢)، وغيرها من العلوم.

o ومن ملامح قوة ودقة منهج المحدثين، اختبار الشيخ لتلميذه، واختبار التلميذ لشيخه، وذلك لاكتشاف ضبط الشيخ لما يروى، وضبط التلميذ لما يسمع(٣).

o ومن ملامح التوثيق والضبط عند المحدثين، أنهم لم يعتمدوا على المشافهة فقط في حفظ السنة، وإنما الكتابة والتدوين في الأصول، والتلقين منها في كثير من الأحيان.

يقول الإمام أحمد: "حدثونا قوم من حفظهم، وقوم من كتبهم، فكان الذين حدثونا من كتبهم أتقن"(٤).

---

١) المصدر السابق: ٤٩.

٢) أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: ٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٣) انظر: الاعظمي، منهج النقد عند المحدثين: ٦٩.

٤) المصدر السابق: ٧٢.

موقف [WATT] من الحديث النبوي:

يقول [WATT] ويمكن تصور عملية نقل الحديث كما يلي:

«أخذت فئة قليلة من الأشخاص منذ نهاية القرن الأول الإسلامي بجمع الأخبار التي تستطيع جمعها عن حياة محمد ومغازيه، ثم كتب بعضهم ما جمعوه ومهما بدا أن هؤلاء الجامعين الأوائل للأخبار قد فحصوا مصادرهم بعناية، فإنهم لم يذكروا في جميع الحالات الإسناد الكامل أو سلسلة الرواة، التي تعود بنا القهقرى إلى شاهد العيان للحوادث، ثم أصبح الإسناد الكامل شيئاً فشيئاً ضرورياً»(١).

المناقشة والرد:

١- بدأ تدوين الحديث والسيرة النبوية في عهد النبي ﷺ، وكان تدويناً مفرقاً فردياً على أيدي الصحابة رضوان الله عليهم.

فمن ذلك تدوين عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه (ت ٦٣هـ) لحديث النبي ﷺ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: "ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب"(٢)، وجمع رضي الله عنه أحاديث النبي ﷺ في صحيفة كان يسميها الصادقة(٣).

وكان أنس رضي الله عنه يقول: "كنا لا نعد علم من لم يكتب علمه

---

١) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٦١٥.

٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، (نسخة الفتح)، ٣ كتاب العلم ٣٩ باب كتابة العلم: ٢٠٦/١.

٣) انظر: الخطيب البغدادي، تقييد العلم: ٨٤، تحقيق يوسف العش، نشر دار إحياء السنة النبوية، ط٢، ١٩٧٤م.

علماً»(١).

وكان إذا حدث وكثر عليه الناس جاء بكتب فألقاها ثم قال: «هذه أحاديث سمعتها من رسول الله ﷺ وكتبتها عند رسول الله»(٢).

ودون التابعون عن الصحابة رضوان الله عليهم الحديث النبوي والسيرة النبوية فمن ذلك كتاب عروة بن الزبير (ت ٢٢-٩٣هـ) مغازي رسول الله ﷺ وغيره، حتى كان عصر عمر بن عبدالعزيز (٦١-١٠١هـ) فأمر بتدوين وجمع السنة والآثار النبوية في جوامع مصنفة شاملة، ثم كثرت بعد ذلك التصانيف الكثيرة والجوامع والسنن.

فمن العرض الموجز السابق، يتضح أن نقل السنة كتابياً تزامن مع نقلها شفوياً، ولكن لم تجمع في كتاب واحد شامل، حتى عصر عمر بن عبدالعزيز(٣).

وإذا سلمنا أن [WATT] يقصد بقوله: «أخذت فئة قليلة من الأشخاص منهذ نهاية القرن الأول الاسلامي، بجمع الأخبار التي تستطيع جمعها عن حياة محمد ومغازيه»، تدوين وجمع المغازي على يد عروة بن الزبير، وتدوين عمر بن عبدالعزيز للسنن والآثار، فقد أغفل [WATT] تماماً تدوين السيرة، والسنة عامة قبل ذلك التاريخ، فبدا في كلامه الزعم بأن هناك فترة انقطاع لم تدون فيها السنة أو السيرة، حتى

---

١) المصدر السابق: ٩٦.

٢) المصدر السابق: ٩٥.

٣) انظر تفصيل ذلك في كتاب دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، للأعظمي: ٧١/١، نشر المكتب الإسلامي ط ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

نهاية القرن الأول الهجري، وهذا يخالف الواقع التاريخي الفعلي لتدوين الحديث النبوي، والذي تزامن كما أسلفت مع تناقلها الشفوي منذ عهد النبوة وخلال الأجيال اللاحقة.

ويضيف [WATT] بأن تلك المحاولات لجمع السيرة النبوية، لم يذكر فيها الإسناد على حد زعمه كاملاً، واستدل بأن ابن إسحاق لا يذكر السند كاملاً، أما من جاء بعده كابن سعد مثلاً(١) فحاول أن يكمل سلسلة السند، ولكن على حد قوله:"لا نستطيع وصل الحلقات الأولى من السلسلة كما هو الشأن في الحلقات المتأخرة»(٢).

وهذا تصور مخطيء لطبيعة الإسناد، وواقعه، وذلك للأسباب التالية:

١- الواقع التاريخي يثبت أن الإسناد بدأ في عصر النبي ﷺ، فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسندون الحديث إلى النبي ﷺ إذا سمعوه منه، وأما إذا سمعوه من صحابي آخر فإنهم يسندونه إليه كرواية عائشة عن أبي هريرة، ورواية أبي هريرة عن عائشة(٣) وكانوا يوصون بذكر الإسناد عند كتابة الحديث، يقول علي بن أبي طالب: "إذا كتبتم حديثاً فاكتبوه مع الإسناد"(٤)..

وسار التابعون على هذا النهج فكانوا يسندون الحديث إسناداً كاملاً إلى النبي ﷺ، والتزم تابع التابعين بهذا النهج حتى اشتهرت أسانيد

---

١) "محمد في المدينة" صلى الله عليه وسلم: ٥١٦.

٢) المصدر نفسه: ٥١٧.

٣) ابن الصلاح، مقدمة في علوم الحديث: ١٠٥، نشر دار الفكر ١٤٠٨هـ

٤) القسطلاني. المواهب اللدنية ٥/٥٤.

وسميت بأصح الأسانيد، كرواية مالك عن نافع عن ابن عمر، أو يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمى عن أبي هريرة(١)، وغيرها من الأسانيد، ومن الطبعي أن تطول وتكثر سلاسل الإسناد مع تقادم الزمن، وذلك لتناقل الرواية عن الصحابة عبر الأزمنة.

ثم إن مجال دراسة الأسانيد هو كتب الحديث وليست كتب السيرة، «وأكثر ما قام به المستشرقون من دراسة للأسانيد حتى الآن في كتب السيرة، وبالتالي توصلوا إلى نتائج خاطئة لاختيارهم مواد غير مناسبة للبحث والتنقيب عما يريدون»(٢).

ومما لا شك فيه أن هناك اختلافاً في طبيعة كل من كتب السيرة والحديث، ففي تأليف كتب الحديث يمكن ذكر حديثين في محل واحد لا صلة بينهما من ناحية الموضوع... لكن السيرة تتطلب استمرار الحوادث والقصص، ولذلك كان مؤلفو السيرة مضطرين إلى جمع الروايات العديدة، ومزج بعضها مع بعض لاخراج حادثة متكاملة لكن هؤلاء المؤلفين والمحدثين عندما رووا أحاديث أو ألفوا كتباً في موضوعات أخرى في الحديث غير السيرة، لم يسلكوا ذلك المنهج فتبين بذلك أن هناك فرقاً جوهرياً بين طبيعة هاتين المادتين، أعني كتب

---

١) انظر: أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث: ٢١.

٢) الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: ٣٩٨/٢.

الحديث وكتب السيرة»(١).

٤- وعدم ذكر ابن إسحاق للإسناد لا يعني بالضرورة عدم وجود الإسناد نفسه، فضلاً عن ذكر ابن إسحاق للإسناد في بعض مروياته(٢).

منهج [WATT] في المصادر والروايات:

١- إهمال روايات السيرة في كتب الحديث:

اعتمد [WATT] في دراسته للغزوات على مصادر إسلامية كابن إسحاق، والواقدي، وابن سعد، والطبري، وهذه إيجابية تحسب له، ولكنه أهمل تماماً روايات السيرة في كتب الحديث النبوي، كالكتب الستة وغيرها، وعلّل سبب تركه لها، بأن هدف جامعيها شرعي وليس تاريخي(٣).

وحاول أن يفرق بين روايات السيرة التاريخية والتشريعية، يقول [WATT]:«وبينما يُنظر للمواد التاريخية التقليدية على أنها صادقة فإنه يجب التمييز فيها بين المواد المتعلقة بمسائل يدور حولها النزاع، والمواد التي لا يدور، وهذا التمييز يمكن وصفه إجمالا على أنه تمييز بين المواد التشريعية والمواد التاريخية، فحيثما كانت قصة حول محمد تتضمن نتائج تشريعية متخاصم عليها بين المدارس المتنازعة، فإن من المنتظر أن تستشهد بها كل مدرسة لدعم آرائها»(٤)، ثم يضيف:

---

١) المصدر السابق: ٢/٣٩٧.

٢) انظر على سبيل المثال: سيرة ابن هشام، لمعرفة بعض المواضع التي ذكر فيها ابن إسحاق الإسناد كاملا: ٢/٣٠٤، ٣٢٢، ٣٤٧، ٣٤٨ وغيرها.

٣) انظر: محمد في مكة: ٧.

وحيثما كانت القصة لا تحتوي على مسألة من هذا النوع فهذا دليل على أنها ليست مصطنعة»(١).

المناقشة والردود:

قبل الشروع في مناقشة الزعم السابق، أود أن أوضح حقيقة جهلها أو تجاهلها [WATT] وهي أن السيرة النبوية جزء من سنة النبي ﷺ، وأن حجية الثابت من روايات السيرة النبوية كحجية الثابت من روايات الحديث أو السنة النبوية، وأن كلا الأمرين يعد تشريعاً يجب على الأمة امتثاله والعمل به، فلا مجال للتفريق بين السنة والسيرة النبوية من الناحية التشريعية، فأفعال النبي ﷺ وأقواله دين وتشريع يجب العمل به، ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..﴾(٢).

ومن العجيب أن [WATT] جعل من دليل القوة دليلا للضعف، فزعم أن سبب تركه لروايات السيرة في كتب الحديث لوجود التنازع حولها.

والتنازع المزعوم إذا حصل هو تنازع حول فهم الرواية وليس حول ثبوت الرواية نفسها، فالرواية إذا ثبتت عن النبي ﷺ سلّم المسلمون بها، واجتهدوا في فهمها، وقد يختلفون في فهمها، ولكن هذا لا يؤثر في قوة وصحة الرواية، بل هو دليل صحة وقوة الرواية، وليس دليلا على ضعفها يوجب تركها، فلو كانت غير ثابتة ما أجهد العلماء أنفسهم في

---

٤) محمد في المدينة: ٥١٤.

١) المصدر السابق: ٥١٥.

٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

فهمها والبحث عن التشريع فيها أصلا.

فالواجب على الباحث في مجال السيرة أن لا يتجاهل مادة السيرة في كتب الحديث، فالمحدثون اهتموا بجمع الصحيح من الروايات المسندة إلى النبي ﷺ، واهتموا في بعض الأحيان بالحكم على الرواية نفسها، ولذا أدى هذا الخلل المنهجي عند [WATT] إلى تبني أحكام مخطئة بسبب اعتماده على كتب السيرة فقط، فمن ذلك:

يقول [WATT]: "ويقال بأن هذا [سعد بن عبادة] تغيب عن بدر بسبب لسعة حية، ولكن ذلك لم يكن سوى عذر يتعلل به"(١).

واعتبر [WATT] أن تغيب سعد عن غزوة بدر مثال من أمثلة المعارضة الإسلامية التي واجهها النبي ﷺ على حد زعمه، في السنوات الخمس الأولى في المدينة..

استند [WATT] في حكمه السابق على رواية غير صحيحة عند ابن سعد (٢)، ولو رجع إلى كتب الحديث عامة وصحيح مسلم خاصة لعلم أن الصحابي لم يتخلف عن الغزوة وإنما حضرها مع النبي ﷺ وكانت له فيها مواقف مشرفة(٣).

٢- الاعتماد على المصادر الضعيفة:

---

١) محمد في المدينة: ٢٧٦.

٢) الطبقات الكبرى: ٦١٤/٣.

٣) انظر صحيح مسلم ١٤٠٤/٣ وانظر الفصل الأول من البحث: ص ٤٠ في مناقشة موقف [WATT] من تخلف بعض الصحابة عن الغزوة.

اعتمد [WATT] على مصادر إسلامية في دراسته للغزوات، وكان أكثر اعتماده على مغازي الواقدي، وعلل [WATT]سبب اعتماده عليه بقوله:"وتمثل مغازي الواقدي وسيلة قيمة للتثبت من ابن إسحاق لأنها تعتمد على سلسلة من المصادر المستقلة"(١).

المناقشة والردود:

قبل أن أشرع في مناقشة الزعم السابق، أود توضيح القيمة التاريخية العلمية لكلا المصدرين «مغازي الواقدي، وسيرة ابن إسحاق».

سيرة ابن إسحاق (٨٥-١٥١):

وضع ابن اسحاق كتاباً في السيرة مكوناً من ثلاثة أقسام: المبتدأ والمبعث، والمغازي، والكتاب مفقود سوى بعض قطع منه، تخص المبعث، والمغازي، تم جمعها وطبعها(٢) وقام ابن هشام (ت٢١٨هـ) باختصار كتاب ابن إسحاق وحذف منه بعض الأشعار "ولمّا هذبه تحت اسم سيرة رسول الله، فاق الأول [ابن إسحاق] واعتنى الناس بهذا الأخير"(٣)، وكان ابن إسحاق نفسه إماماً في المغازي ولكنه رُمي بالتدليس(٤)، فإذا صرح

---

١) انظر: محمد في مكة: ٨.

٢) قام بهذا العمل محمد حميد الله، وطبع الكتاب بعنوان: سيرة ابن اسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، نشر دار الخاني، الرياض ١٤٠١هـ ١٩٨١م، .

٣) سيرة ابن اسحاق، محمد حميد الله: المقدمة، أ.

٤) انظر ابن حجر العسقلاني، تقريب التهذيب : ٤٦٧، نشر دار الرشيد سوريا، حلب، ط٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م.

بالسماع استقام الإسناد .

مغازي الواقدي:

صنف محمد بن عمر الواقدي (١٣٠-٢٠٧هـ) كتاب المغازي وهو كتاب شامل جامع، كان من منهج مؤلفه معاينة المواقع التي حصلت فيها الغزوات(١) أما بشأن الواقدي نفسه، فيقول ابن حجر: "متروك مع سعة علمه" (٢)، والمحدثون إذا اطلقوا كلمة متروك على راو من الرواة، فهذا يستوجب سقوط روايته وعدم الاحتجاج بها. «يقول أحمد بن صالح: لا يترك حديث رجل حتى يجتمع الجميع على ترك حديثه، قد يقال فلان ضعيف، فأما أن يقال فلان متروك، فلا، إلا أن يجتمع الجميع على ترك حديثه»(٣).

انتهج [WATT] منهج الانتقاء الكيفي المستند على غير النصفة والتثبت في الأخذ من مصادر السيرة، فانتقى المصدر الضعيف (مغازي الواقدي) وعظّم من شأنه وجعله وسيلة للتثبت من المصادر الأخرى، والتي تعد أقوى منه (كسيرة ابن إسحاق) وهذا يخالف المناهج العلمية السلمية، ومنها المنهج التاريخي الذي يقوم في بعض جوانبه على النقد الباطني السلبي، ويشمل «التثبت من صدق المؤلف وعدالته، وهل كذب أم لم يكذب»(٤).

---

١) انظر فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها: ٥٥، نشر دارالثقافة ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

٢) تقريب التهذيب : ٤٩٨.

٣) ابن الصلاح، علوم الحديث: ٦٠.

=

٣- عدم الأمانة في النقل:

اعتمد [WATT] كما أسلفت على مصادر السيرة النبوية، ولكنه تجاوز كثيراً المنهجية العلمية الصحيحة، والأمانة في نقل تلك الروايات من مصادرها، وذلك لتأييد موقف شخصي تجاه أحداث الغزوات، فتراه يزيد في الرواية أو ينقص منها بما يتوافق مع موقفه الخاص، فعلى سبيل المثال:

○ قصة الإفك(١):

سار النبي ﷺ في السنة الخامسة للهجرة(٢) إلى بني المصطلق في موقع يقال له المريسيع، ففر أهلها وانتصر عليهم، فلما قفل إلى المدينة وكانت عائشة رضي الله عنها معه آذن ليلة بالرحيل فذهبت عائشة رضي الله عنها لقضاء حاجتها واحتمل الرهط هودجها ظناً منهم أنها فيه، وأتت عائشة رضي الله عنها فلم تجدهم، فغلبتها عيناها ونامت حتى أتى الصحابي صفوان بن المعطل رضي الله عنه، فأناخ لها بعيره، وسار بها حتى دخل بها المدينة، فلما رأى المنافقون دخول عائشة على بعير صفوان نجم حقدهم وأشاعوا الأقاويل في عرض الطاهرة المطهرة، حتى برّأها الله في آيات كثيرة من سورة النور(٣).

موقف [WATT]:

= ٤) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي: ١٢٧، نشر دارالمعارف، ط١٠، ١٩٩٢م.

١) انظر: صحيح البخاري، نسخة الفتح ٤٣١/٧.

٢) رجّح ابن حجر أنها في السنة الخامسة للهجرة، انظر الفتح: ٤٣٠/٧.

٣) الآيات: ٤-٢٥.

أورد [WATT] قصة الإفك في معرض حديثه عن المعارضة الإسلامية المزعومة، ضد النبي ﷺ، يقول [WATT]: "فقد تركت زوجة محمد الشابة عائشة قبل الوصول إلى المدينة في المؤخرة، ثم وصلت بصحبة شاب جميل.. وجهد ابن أبي في تضخيم الفضيحة".(١).

المناقشة والردود:

لا شك في أن هذا النص الذي أورده [WATT] يخالف الواقع الفعلي للقصة في المصادر الإسلامية، خاصة وأن [WATT] أشار في الحاشية إلى مراجعه فذكر سيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي، وصحيح البخاري، وجميع تلك المصادر وغيرها من كتب الأعلام(٢)، لم تشر الى أن صفوان بن المعطل رضي الله عنه كان شاباً جميلاً، ولكن [WATT] لم يتقيد بالأمانة العلمية في النقل، وأضاف كلمة "جميلاً" لمزاً منه وطعناً في العرض الشريف الطاهر..

ثم يصرح في كلامه بوجود فضيحة فعلا بإسلوب ملتو هو أُسلوب الاتهام في صورة التبرئة، فيقول: وجهد ابن أبي في تضخيم الفضيحة.. ولا شك في أنه تجاوز بذلك المنهجية العلمية والنزاهة والموضوعية في البحث العلمي، والتي من أبسط قواعدها الأمانة في النقل، وعدم لي أعناق

---

١) محمد في المدينة: ٢٨٣، وانظر مقال [WATT] عائشة بنت أبي بكر، دائرة المعارف الإسلامية، ١٥/٤٣١، نشر دار الفكر.

٢) انظر صحيح البخاري ٧/٤٣١، وانظر سيرة ابن اسحاق ٣/٤١١، وانظر مغازي الواقدي ٢/٤٢٦، وانظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ترجمة الصحابي الجليل صفوان بن المعطل: ٢/٥٤٥.

الأدلة والروايات لتتفق مع الأحكام المفتعلة سلفاً، وهو بذلك ينضم فكرياً إلى فريق المنافقين في المدينة في دعواهم واتهامهم لعائشة رضي الله عنها.

○ غزوة أحد:

كانت إشاعة موت النبي ﷺ عاملاً من عوامل هزيمة المسلمين يوم أحد، وقيل إن الشيطان هو مصدر تلك الإشاعة(١).

يقول [WATT] «ومن الغريب أن الرجل الذي تنسب إليه شائعة موت محمد كان من بين رماة فصيلة عبد الله بن جبير»(٢)، وأشار في الحاشية إلى مغازي الواقدي..

وعند الرجوع إلى المصدر المذكور نجد الرواية التالية«ونادى إبليس وتصور في صورة جعال بن سراقة: إن محمداً قد قتل، ثلاث صرخات»(٣).

وجعال بن سراقة كان ممن أجلسهم النبي ﷺ مع الرماة..

والاختلاف بيّن ما أورده [WATT] في كتابه وبين المصدر الذي أحال عليه، واضح بين، فجعال بن سراقة رضي الله عنه لم تنسب إليه الرواية الاشاعة وإنما نسبتها إلى الشيطان الذي تصور بصورته، ولكن [WATT] صاغ الرواية بصورة فيها طعن في الصحابي الجليل، وفيها تأييد لمذهبه المادي المتثل في إنكار الغيبيات والايمان بالمحسوسات فقط، وهو وإن جرد السيرة النبوية في كتابه من عواملها الايمانية، فلا أقل من أن يلتزم بالأمانة العلمية في النقل ثم يترك للقارىء حرية التفسير!!.

---

١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية: ١١٢/٣.

٢) محمد في المدينة: ٣٨.

٣) الواقدي، المغازي: ٢٣٢/١.

الخاتـــــمة ,نتائج البحث ، التوصيات

❑❑❑

نتائج البحث

بعد أن استعرضت بعض مواقف [WATT] من غزوات النبي ﷺ وأبرز مناهجه التي قامت عليها دراسته، ألخص نتائج البحث فيما يلي:

١- إن صور المدح والثناء على الكاتب والكتاب(١) اعتراها عامل المبالغة والسطحية وعدم العمق.

٢- أن المؤلف لم يحد كثيراً عن الموقف الاستشراقي العام تجاه السيرة النبوية، لا سيما التفسير المادي لأحداثها.

٣- إن كتابات بعض المستشرقين في السيرة النبوية لا تحكي الواقع الفعلي لأن تفسيرهم نشأ من خارج السيرة وليس من داخلها، فتفسير أحداث السيرة يجب أن ينبع من خلال دوافعها وعواملها الذاتية، وليس من دوافع ونظرة وبيئة المستشرق نفسه.

٤- العلاقات الإسلامية المسيحية في السيرة النبوية جانب حساس يكشف عن هوية المستشرق وانتمائه وأثر ذلك في تشويه مقاصد تلك العلاقات(٢).

٥- عدم احترام بعض المستشرقين للحقائق التاريخية الثابتة، وفي المقابل يتمسكون بروايات لا سند لها في الواقع التاريخي، اللهم إلا في ذهن المستشرق، ولا أدل على ذلك من تجاهل بعض المستشرقين لروايات ثابتة تدل بمجموعها على مقاصد الجهاد الإسلامي، بينما يتمسكون بروايات ضعيفة جزئية ظناً منهم أن فيها مقصد مادي كالغنائم وغيرها، ومن ثم تعمم على مقاصد الجهاد الإسلامي.

٦- استخدام بعض المستشرقين مثل [WATT] لأساليب غير علمية،

---

١) انظر أهمية البحث، ص : ٣.

٢) انظر موقف [WATT] من غزوات النبي ﷺ ضد الروم: ٨٤.

كبناء النتائج على مقدمات غير صحيحة، أو استثمار الدليل الصحيح استثماراً مخطئاً، أو سوق الرأي في صورة الرواية، وغيرها من الأساليب التي أضفت بعداً لا منهجياً على كتاباتهم وبحوثهم.

التوصيات

اشتمل كتاب المستشرق على جوانب بحثية كثيرة غير الغزوات، ضمّنها المستشرق شبهاً كثيرة منها:

١- زعمه أن الإسلام قد بولغ في انتشاره، وأنه لم يعم سوى مكة والمدينة، وبعض ضواحيها، واستدل بحركة الردة بعد موت النبي ﷺ(١)

لذا يوصي الباحث غيره باستقصاء ومناقشة مثل هذه المواضيع البحثية الهامة.

٢- ويوصي الباحث باستخدام منهج المحدثين عند مناقشة المستشرقين ولذلك لتميز الثابت من الروايات، فكثير من المستشرقين يعتمد الضعيف الشاذ من الروايات لأنهم يجدون فيها بغيتهم، ومناقشة المستشرقين دون الإشارة إلى ضعف واختلاق تلك الروايات، اعتراف ضمني من المناقش بصحتها، ونسبتها إلى النبي ﷺ.

وختاماً، أسأل الله عز وجل أن أكون قد وفقت فيما قدمت، وأن يغفر لي ما فرطت، وحسبي أني قد تحريت الصواب فيما أقول، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد.

---

١) انظر محمد في المدينة: ١١٩.

الفهـــــــارس

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث القولية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

○○○

أولا: فهرس الآيات

الآيـــــــــــة	السورة	رقمها	صفحة
﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق..﴾	الفتح	٢٧	٥٧
﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله..﴾	النساء	٨٠	٩٤
﴿وأحل الله البيع وحرم الربا..﴾	البقرة	٢٧٥	١١٦
﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً..﴾	الأحزاب	٢٥	٧٥
﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم..﴾	البقرة	١٩٠	٢١
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله..﴾	الأنفال	٣٩	٢٠
﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره .﴾	التوبة	٨٤	٩٦
﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه..﴾	آل عمران	١٥٢	٥٠
﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ماوعدنا..﴾	الأحزاب	٢٢	٧٥
﴿وما أتاكم الرسول فخذوه..﴾	الحشر	٥٩	١٣١
﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً..﴾	سبأ	٢٨	١٠٤
﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين..﴾	النساء	٧٥	٢٠
﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾	المائدة	٤٤	١١٦
﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه..﴾	آل عمران	٨٥	٢٩
﴿وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا..﴾	آل عمران	١٦٧	٤٨
﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ..﴾	الحجرات	٦	١٣٢
﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار..﴾	التوبة	١٢٣	٩٠
﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..﴾	الحجرات	١٣	١١٦

ثانياً: فهرس الأحاديث القولية

ثالثاً: فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير، مجد الدين ابن المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، نشر دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، عالم الكتب، طبعة عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التهذيب، نشر دار الرشيد، سوريا، حلب، ط٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقّم كتبه: محمد فؤاد عبدالباقي، وقام بإخراجه محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- ابن سعد، أبو عبدالله محمد، الطبقات الكبرى، نشر دار صادر.
- ابن الصلاح، أبو عمرو عثمان، مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، نشر دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، عبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة الرابعة عشرة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، المنار المنيف في الصحيح والضعيف، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء، البداية والنهاية، دار الريان، ط ١٤٠٨هـ.
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء، تفسير القرآن العظيم، نشر مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- ابن ماجة، محمد بن يزيد، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الريان.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، ومحمد بن عبد الله أبو صعيليك، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، دراسة وفهرسة: كمال يوسف الحوت، نشر دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.
- أحمد بن حنبل، المسند، مؤسسة قرطبة.
- أحمد بن عبدالحميد غراب، المستشرقون والموضوعية، مجلة الأزهر، العدد الخامس، جمادى الأولى ١٤١١هـ.
- أحمد بن نصر الله المصري، الثمرات الجياد في مسائل فقه الجهاد، دار فلسطين المسلمة، ط ١٤١٢هـ ١٩٩١م.
- أحمد العوايشة، موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، نشر دار مكة، ط١، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- أحمد محمد با وزير، مرويات غزوة بدر، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط ١٤٠٠هـ.

- أحمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- أكرم حسين علي، مرويات تاريخ يهود المدينة، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، مطبوع على الآلة.
- إميل درمنغم، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٨م.
- الترمذي، محمد بن عيسى ، السنن، نشر المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
- الجبوري، الجهاد الإسلامي في سبيل الله وتحرير الإنسانية، مطابع الرشيد.
- حسن حنفي، التراث والتجديد، دار التنوير، ط١، ١٩٨١م.
- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، نشر دار المعارف، ط١٠، ١٩٩٢م.
- حسين أحمد أمين، تأملات في تطور كتابة سيرة الرسول ﷺ في الشرق والغرب، مجلة العرب، الكويت، العدد ٢١٥، اكتوبر ١٩٧١م.
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تقييد العلم، تحقيق يوسف العش، نشر دار إحياء السنة النبوية، ط٢، ١٩٧٤م.
- الذهبي، محمد بن أحمد، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط٧، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- روجيه باسكييه، محمد المفترى عليه، مجلة حضارة الإسلام، عدد ٤٠-٤٣، ذو الحجة -١٤١٠هـ.
- روم لاندو، الاسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، نشر دار العلم

للملايين، بيروت.

- رودي باريت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة.
- رينيه ديكارت، مقال عن المنهج، ترجمة محمود محمد الخضيري، سميركو للطباعة والنشر.
- سعد مصلوح، حول التفسيرات الماركسية لظهور الإسلام، مجلة المسلم المعاصر، عدد ٢٧، رجب ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.
- سعيد عبدالفتاح عاشور، الحركة الصليبية، نشر مكتبة الانجلو المصرية، ط٣: ١٩٧٨م.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الحادية عشرة، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الشروق.
- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صديق بشير نصر، ملاحظات وتعليقات على الفصل الثاني من كتاب: دراسات محمدية ضمن كتاب من قضايا الفكر الإسلامي كما يراها بعض المستشرقين، نشر كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، طرابلس.
- الصنعاني، عبدالرزاق، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ.
- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١١هـ ١٩٩١م.
- عبدالعظيم المظعني، الإسلام في مواجهة الأيدلوجيات المعاصرة،

نشر مكتبة وهبة، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

○ عبدالقادر السندي، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، نشر مكتبة المعلا، الكويت، ط ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

○ عبدالمجيد ناجي، تطور الدراسات الاستشراقية عن الرسول القائد ﷺ، الموسوعة الصغيرة، منشورات دار الجاحظ للنشر.

○ عماد الدين الخليل، بحث المستشرقون والسيرة النبوية، ضمن كتاب: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب التربية العربي لدول الخليج العربية.

الغزالي ␣ فقه السيرة، دار إحياء التراث العربي، الطبعة السابعة ١٩٨٦م.

○ الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: جميل صليبا وكامل عياد، نشر دار الأندلس.

○ فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، نشر دار الثقافة، ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.

○ فيليب حتي، صانعوا تاريخ العرب، ترجمة أنيس فريحة، دار الثقافة.

○ كلود كاهن، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين قاسم، نشر دار الحقيقة ، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.

○ محسن عبدالناظر، الحياة الدينية في القرن الهجري الأول بين الواقع وما افترضه المستشرق «جولد تسيهر» مجلة مركز بحوث السنة والسيرة، العدد الثالث، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

- محمد حميد الله، سيرة إبن اسحاق، نشر دار الخاني، الرياض، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.
- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، نشر دار النفائس، ط٥، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.
- محمد رزق الطرهوني، صحيح السيرة النبوية، نشر مكتبة العلم، ط١، ١٤١٤هـ.
- محمد فتح الله الزيادي، انتشار الإسلام وموقف المستشرقين، نشر دار قتيبة، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- محمد قطب، الإنسان بين المادية والإسلام، دار الشروق، ط٩، ١٤٠٨هـ.
- محمد مصطفى الأعظمي، دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، نشر المكتب الإسلامي، ط ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- محمد مصطفى الأعظمي، مغازي رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط ١٤٠١هـ.
- محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين، مكتبة الكوثر، ط٣، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن أبي داود، نشر مكتب التربية العربية لدول الخليج، ط١، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.
- محمد يحيى، رحلتي من الكفر إلى الايمان، قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة، نشر المختار الإسلامي.
- ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، معهد

الإنماء العربي، ليبيا.

- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف.
- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن، نشر دار المعرفة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، ترقيم وتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٤١٢هـ ١٩٩١م، نشر دار الحديث.
- هنري ماسيه، الإسلام، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، لبنان.
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، ودار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- الواقدي، محمد بن عمر، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
- وليام مونتجمري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- وليام مونتجمري وات، محمد في مكة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- ونسنك ومجموعة من المستشرقين، المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، دار الدعوة، استانبول ١٩٨٨م.
- يوليوس فلهوزن، تاريخ الدولة العربية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، نشر لجنة التأليف والترجمة في جامعة القاهرة، ط٢، ١٩٦٨م.

* Bernard Lewis.

The Arabs In History, Harper and Row, Publisher 1967.

* Maryam Jameelah.

Islam and Orientalism: 98, El Matbaat Ua Arabia, Lahor. Pakistan, 1981.

* Watt..

Islam and the Intergration of society, London, Rovttedge, and Keganpavl, 1966.

* Watt.

Muhammad at Medina, OxFord, Univėrsity, Press 1981.

* Watt.

Muhammad , Prohpet and statesman, OxFord University, Press 1965.

Watt.

Muslim Christian encounters perception and miss perceptions, London, Routclage, 1991.



رابعاً: فهرس الموضوعات